سلسلة الموسوع في الأدب العربي

٦

الشعر الملحمي

تاريخه وأعلامه

ابن كلثوم - ابن حلزة - ابن شداد

جورج غريب

استاذ الأدب العربي في المعهد الانطوني

ابن كلثوم - ابن حلزة - ابن شداد

سلسلة الموسوعة في الأدب العربي

٦

الشعر الملحمي

تاريخه وأعلامه

ابن كلثوم - ابن حلزة - ابن شداد

جورج غريب

استاذ الأدب العربي في المعهد الأنطوني

نشر وتوزيع

NDRINA

دار الثقافة

بيروت - لبنان

الشعر الملحمي

اتفق النقاد على حصر مظاهر الشعر في ثلاثة فنون رئيسيّة ، هي الشعر الملحمي، والشعر الغنائي، والشعر التمثيلي. فالملحمي منها قصصي بطولي متشعّب طويل السّرد ، فيه العظمة ، والخوارق ، والأهداف الكبيرة ، والآمال الوساع ، والنزعة الانسانية ، والاتجاه القومي ، والمجال الرحيب ، وهو أقدم الفنون ، هدفه الجماعات لا الأفراد، وتمجيد الامة لا نقد المجتمع، وبهذا يشذ عن الفنين الغنائي والمسرحي .

والملحمة في اللغة العربية المعركة العظيمة ، وهي ايضاً — على حدّ قول ابن خلدون — «تأريخ الدول». امّا في اليونانية فمعناها القصّة او الشعر القصصي الذي يختص بوصف القتال .

ولمّا كانت الملحمة قصة طويلة ، ذات حادثة واحدة، او عدّة حوادث ، ارتبطت وقائعها بحياة جماعة توحّدت منها الآمال ، وتشابكت المصالح ، كان لا بدّ من وحدة موضوع ، يقوم عليها الفنّ القصصي ، وتنساق الأحداث معها الى الحلّ المنطقي ، وتتباين مراحل العمل الواحد في تعدّد الاناشيد لبلوغ الهدف الانساني المطلوب .

واذا اختلفت الملحمة عن القصّة العاديّة،فمن حيث أغراضها وأسلوبها ، فهي لا تقف عند السرد وخلـق المتعة الادبية ، بل تتّخذ من التمثيل ،وما يواكبه من وصف وتشبيه، ومن الحوار المسرحي الخطابي سبيلاً الى السيطرة على العقول.

وللملحمة موضوع بطولي شعبي ، هو صراع بين حضارتين ، صراع من اجـل البناء البشري ، والوجود الانساني ، فلذلك وجب على حروب الملاحم أن تدور حول كرامة أمّة ، وحماية تراث ، وإثبات حق ، وتدعيم مصير او كيان .

من هنا تحتّم على التأريخ ان يكون بيّن الملامح في ذلك الصراع ، فيمتزج الواقع بالاسطورة ، وتختلط الملائكة بالجنّ ، والآلهة بالبشر ، والعقائد بالخرافات، والوقائع بالخوارق. وهذا البروز التأريخي أشبه بمسرح تشدّ الملحمة واقعه، في سبيل هدف إنساني ، الى عالم الأساطير .

فغير عجيب ان تكون القوّة أجـلى مظاهره ، وأن يكون الشعر الملحمي شعراً بطوليّاً ، لمـا تتطلبه الحروب والمـآتي الجليلة من إقدام وتفوّق . فالبطل في الملحمة هو المثـل الاعلى المحتذى ، والقائد الى الظفر الذي تعقد عليه الآمال .

وغير عجيب أن تكون الخوارق النهج الأمثـل الذي يدفع بأبطال الملحمة الى العيش والآلهة في معترك من الأهداف واحد.

ولقد كانت الشعوب الوثنيّة أقرب الى الملاحم من الشعوب الموحّدة ، لأنهـا اكثر تحرراً في مجالات الدين والعقيدة وأشدّ

ايغالاً في مضمار الغرائب والتفلت . فالادهـاش في نظر ارسطو « مستحب دائماً » .

ولعلّ الفارق بين الشعر الملحمي القصصي وبين الشعر الغنائي المحض ، هو ان الشاعر في الملحمة راوية ، لا ينزل الساحة ، بينما الشاعر الغنـائي هو فارس الميدان . على أن تلك الغنائية مهما احتجبت عن شعر الملاحم ، فملامحهـا لا تغيب كليـاً عن نبض القلوب ونزعات النفوس .

ونرى أن اسلوب الملحمة أسلوب خلاّق ، بما فيه من خيال واسع ، وموسيقى تعبيريّة ترتفع بالالفاظ والتراكيب الى الشدّة والعذوبة .

وقد تكون نشأة الشعر الملحمي محازية لنشأة الشعر الغنائي لكون المنهجين حاجة في النفس البشريّة .

وربما استطعنا حصر تأريخ الشعر الملحمي في ثلاث مراحل: مرحلة التعبير عن أزمة وجوديّة ، بالنسبة الى ما وراء الوجود، حيث المزيج من روحانيّة وماديّة ، من عقائد وخرافات ، من حقائق واساطير . ومرحلة تعبير عن أزمـة اجتماعية في تنازع وجودي ، ثم مرحلة تعبير عن أزمة قوميّة .

يبدو لنا ، من هـذا التسلسل الراقي ، انتقال المجتمع ، على أيدي أبطـال الملاحم ، من طور العصبيّة القبليّة ، الى طور الاجتماع الحقيقي ، من البيئة الى الأمّة ، من المفاخر والبطولات

المحليّة ، الى شؤون المصير والتحضّر . وهكذا نرى انتقال الهنود من عهدهم البدائي في الأوبانيشاد والفيدا الى عهد النضوج في الرامايانا والمهبراتا ، وانتقال اليونان من طور تلمّس الاساطير والخرافات الى طور الاليــاذة والاوذيسّة لهوميروس ، رأس شعراء الاغريق . وقد اعتبر ارسطو ملحمتيه أوج الفنّ الملحمي في العالم .

وعلى أثر هؤلاء درجت الشعوب ، فكان للرومان إنياذة فرجيل ، والفردوس المفقود لملتن ، وكان للفرس شهنامة أبي القاسم الفردوسي ، وضعها في القرن الرابع الهجري وتغنّى فيها بمجد الأكاسرة . قيل ان البنداري نقلهـا الى العربية في اوائل القرن السابع للهجرة ، ولكن لم يصلنا شيء من هذه الترجمة .

والى جانب هـذه الامم التي عرفت المـلاحم نرى المصريين القدامى الذين لم يبق من انتاجهم غير الشليت .

والعبرانيين الذين استقوا معظم مواضيعهم من التوراة .

والاشوريين الذين تركوا ملحمة جلقامش .

والفرنسيين الذين ازدحمت الملاحم في ادبهم القديم من مثل انشودة رولان والفرنسياد لرونسار والهنرياد لفولتير .

ومن ملاحم الافرنج عامة نرى انشودة نيبلونجن في الالمانية ، ومغامرات فاسكو دي غامـا في البرتغالية . وللارمن ملحمة دافيد ساسون .

هذا والملاحم أنواع ، منها البطولي والديني ، ومنها الهجائي والاجتماعي الهزلي . على أن أهمّ مـــا نلفت اليه النظر من تلك الأنواع، الملاحم الطبيعيّة او البدائية التي هي بمثابة ديوان الامّة ومرآة حضارتها ، وأشهرها على الاطلاق الاليـاذة والأوذيسّة وانشودة رولان . ثم هنـاك الملاحم المصطنعة أو التقليديّة التي ينشئها الشاعر على غرار الملاحم الطبيعيّة وأفضلهـا الاليـاذة والشاهنامة .

ترى هل كانـ للعرب ملاحم ؟ انهم لا شك عرفوا الشعر الملحمي،ولكنهم لم يعرفوا الملحمة كبناء ، رغم وفرة المواضيـع ووفرة العبقريات ، ووقوع الأدب اليوناني بين أيديهم ومعرفتهم له . وخير دليل على تلك المعرفة ما جاء للجاحظ في « البيانـ والتبيين » من تحليل للفوارق بين شعر الاغريق وشعر العرب ، ورغم وقوفهم على شهنـامة الفردوسي ، وقد تطرّق ابن الأثير الى الحديث عليها ، وعلى شيء من أدب الهند في كليلة ودمنة لابن المقفع الفارسي الأصل . ولكنهم في كل ذلك لم يستسيغوا هذا النوع من الادب ، ولم يقلّدوه ، فظلّوا في معزل عنه ، فـلا عجب أن يتهمهم ابن الاثير بالتقصير في مدى الاطالة الشعريّة ، وهم أبناء بطولة وفروسية وفيض شعري .

لا شكّ ان لذلك أسباباً وعللاً يقف عليها من يماشي أطوار الشعر العربي وسجلّ تاريخ العرب.ومما لا ريب فيه أن الجاهلية كانت خير بيئة مهيأة لنشوء الملاحم،بفضل ما فيها من أحداث، وبطولات ، وأساطير ، وفروسيـة ، وعصبيـة ، وغزوات ،

ومفاخرات ، ومنافرات، وأسواق للشعر والخطب ، وحروب، وأحاديث ، وخوارق ، وتبجّح بالانساب ، ووصف لميـادين القتال . ومع هذا فقد خلت من الفن الملحمي .

قد تكون اسباب ذلك الاغفال كثيرة ولكن يمكن حصرها، على وجه الاجمـــال ، في البيئة ، والمجتمع ، وطبيعة العيش . فالجاهلية لم تعرف الاستقرار، ومجتمعها قبلي ، وشعراؤها أقرب الى السليقة الشعرية والارتجـال ، منهم الى الغوص في مطاوي النفس البشرية ، يعيشون في رؤاهم ، على واقـع منظور وحسّ ملموس ، يميلون الى الذاتية والغنائية الشعرية . كل ذلك ومـا إليه ، منع الأبنية الضخمة من الشموخ ، والابراج من التعالي ، فلم يكن لهم هذا المظهر القومي الذي بدونه لا ترتفع صروح وقباب.

فمن المطوّلات المغربية التي تجيش بالنفس الملحمي قصيدة ابن مرّانة ، والقصيدة التبعية ، ومثل هذا كثير في الادب العربي ، فهناك المعلقات ، وقصة عنترة وسواها . على ان في مطولات عمرو بن كلثوم ، وعنترة ، والحـارث بن حلـّزة ، من مميزات الملاحم ما ليس في غيرها .

وقد يكون من الانصاف اعتبار المطولات العربية ، من قبيل الفخر والحماسة، لا من قبيل الملاحم ، إذ ان الحماسة، وهي في الأصل الشجاعة ، تعتبر في الشعر وصفاً للمغامرات . غير ان أبا تمام في «حماسته» يوسع نطاقها، فتعمّ، الى جانب ذكر القتال، الموت والحكمة والمدح والهجاء والغزل ومـا الى ذلك ، وبتعبير

أدق«ذكر الصبر والتجلد». وهكذا يتسع امامنا مجال الشواهد.

ولما كان الصبر والتجلّد خدني المصائب والحروب ، كان لا مناص أن يكثر في الحماسة الفخر وتصوير القتال. فمن هنا نستطيع حصر الفخر والحماسة في باب واحد لقرب منهجها . فهل الحماسة غير التمدّح بالقوة ، وإن كان نطاقها غير محصور في فن معين ؟ قد لا تخلو قصيدة عربية واحدة ، في أيّ باب من ابواب الشعر التي عرفها العرب ، من الفخر ، وبالتالي ، من الحماسة . فأنت كيفما واجهت التراث العربي، اصطدمت بالشعراء الفرسان، ومن الطبيعي أن يرافق هؤلاء أصالة المحتد ومكارم الاخلاق ، فتصبح في أقوالهم أداة تبجح ومباهاة .

وقد واكبهم الغلوّ المحبّب ، تحدوهم الاحاسيس الحيّة وترفدهم سلامة الطبع والسذاجة . فالحادثة البسيطة في قصائدهم موقعة .

لكنهم اعتنقوا الوصف في هذا الشعر وأهملوا القصّة — نواة الملحمة — فآثروا الايجاز على الاطالة ، واكتفوا بالجزيئات دون الماهيّات، يعطون في ذلك خطوطاً عن مواقعهم لا تؤلف وحدة تصويريّة،وتظلّ دون استجلاء خفايا النفس الانسانية وأهوائها.

انه الجاهلي ، ابن الطبيعة البكر ، ومهما برع في الوصف ، فهو لا يتعدّى نطاقها ، انه ناقل لا مبدع ، مصوّر لا مختزن ، فالخلق لديه قصير الخطى سريع النزوات .

فلو أطال شعراء الجاهلية الوقوف عند القصّة ، فما اكتفوا

بالخبر العابر ، والسرد السريع ، لكان لهم في باب الملاحم شأن غير الذي نسجله لهم .

ولعلّ الوصف ، كما قلنا ، من ابرز الفنون التي اعتمدوها في فنونهم الشعرية ، فهم بطبيعة بيئتهم ، وقصر حدودها ، مهيأون لاقتبال هذا الفن والاجادة فيه . لكنهم لم يجاوزوا به الصحراء الا قليلاً ، الصحراء المتشابهة الالوان والصُور ، فيحبوا بخيالهم القصّة الطويلة أو الملحمة ، وما رووه لم يتعدّ المغامرة المحلية . لقد سدّ الشعور القبلي عليهم المنافذ ، فلم يتطلعوا الى ما وراء الطبيعة ، ولا اكتنهوا سرّ الأساطير وخصبها ، شأن قدماء اليونان والرومان وسواهم .

ولا شك ان لعدم الاستقرار الذي ألمحنا اليه ، يداً في قصر نفسهم ، فالملاحم تتطلب الاقامات الطويلة ، ولم يكن لهم من ثقافتهم ، ما يؤهلهم لركوب هذا المقتحم .

وهكذا كانت ايامهم ، فهي كناية عن غزوات لا فتوحات ، فلم يكن لديهم حرب كحرب طروادة ليكون لهم ملحمة كملحمة هوميروس . او قل لم تكن في نفوسهم العافية للنهوض بشعرهم الى مثل هذا المستوى .

لذلك اكتفوا بالشعر الغنائي ، فجاءت قصائدهم محدودة المدى ، متشابهة الأوجه ، مفككة العرى .

ولقد حدّ صدقهم من انطلاقهم ، وان كانت المغالاة حشو صورهم ، فوقفوا عند المرئيات لا يتعدّونها ، يدققون في الرسم ولكن لا

يوغلون. وهذا الصدق، رافقهم في التعبير أيضاً، فألفاظهم خشنة كحياتهم ، قويّة الدلالة على معانيها ، تجري مع الطبع فلا تتكلف انواع البديع ، فكما كانوا ينقادون بشعورهم في مجالات العيش والتفكير، هكذا كانوا ينجرفون بحسهم في ميادين التعبير، على تماسك وإحكام وحسن اداء . وليس من الغريب ان تنحصر كناياتهم واستعاراتهم في منظورهم وملموسهم ، وأن يكون فيها ما هو غريب عن مفهوم بقيّة العصور .

والشعر الجاهلي واضح المعاني لبعد ألفاظه المعبّرة عن الرموز، ولضيق الخيال ، وضعف الروحانيّة ، والتعلق بالحقائق واعتماد البداهة . وما نجده فيه من غموض ليس مرده الى الصنيع الفني بل الى غرابة الالفاظ، أو الايجاز حيناً والى الاشارات التأريخية والعقائديّة احياناً .

والذي جعل القصيدة الجاهلية مفككة العرى ، الاعتماد على وحدة البيت ، لا على وحدة البناء . فالجمال موزع على التلال القريبة لا على الآفاق البعيدة ، يشدّه الاخلاص والصدق وصفاء الفطرة .

وقد كان منتظراً بعد الجاهلية ، وقد جمع العرب كلمتهم ، ونشأت عندهم فكرة الأمّة، واحتكوا بالدول والممالك، وقامت أمام انظارهم الحروب فلاقوا الكثير من أهوالها ونتائجها وموحياتها ، أن تنطلق انفسهم من عقالها ، وينطلق معها النفس الملحمي ، على ايدي الشعراء الفرسان، وقد توافرت لهم العوامل

والدوافع والدواعي، وظهرت الترجمات، ولكن الشعر الاسلامي ظلّ على التقليد، لا يفارق عمود الشعر العربي المعهود، يعيش في القصور، على التكسب، ويكتفي بالحماسة المحلية لا يتطلـع الى الامجاد القوميّة .

وعندما ظهرت ترجمة سليمان البستاني لالياذة هومير، في العصر الحديث، أيقظت في نفوس بعض الشعراء المتـأخرين، حاسّة الفن الملحمي، فانبروا يسدّون هذه الثلمة في الأدب العربي، بمحاولات تعتبر الخطوات الاولى في هـذا الميدان وحجارة الزاوية [1] .

(١) للاستزادة يراجع ما جاء في كتابنا عن سليمان البستاني حول الملاحم .

عمرو بن كلثوم

القرن السادس

ينتهي عمرو بن كلثوم الى القبيلة التي قيل فيها : لو « أبطأ الاسلام لأكلت بنو تغلب الناس » . فغير عجيب ، وهو التغلبي المثناف ، أن ينشأ عزيز الجانب ، معجباً بنفسه وبنسبه ، وأن يسود قومه وهو في ميعة الصبا ، فيخلف في ذلك أباه كلثوم .

وكان المهلهل ، أخو كليب ، والد أمه ليلى .

زعم صاحب الأغاني : « أن مهلهلاً لما ولدت له هذه الابنة ، أمر بوأدها ، فأخفتها أمها . ثم نام فأتاه آتٍ وتنبأ له بأن ابنته هذه ستلد ابناً يكون له شأن . فلما أصبح سأل عن ابنته فقيل وئدت ، فكذّب وألح ، فأظهرت له ، فأمر بإحسان غذائها . ثم تزوجت كلثوماً ، فما زالت ترى فيما يرى النائم من يأتيها فيخبرها عن ابنها بالاعاجيب ، حتى ولدته ونشأته » فتمت له السيادة وهو دون الخامسة عشرة .

وكان لليلى اخت اسمها سليمى ، وهي التي اكتشفت قتلة

أبيها – على ما يزعمون – . فقد روى الكلبي ان المهلهل مات قتيلاً ، والقاتلان عبدان كانا يخدمانه ، فلما شعر ، في كبره ، بما يضمران له ، سألهما ان ينشدا ابنته سليمى قوله .

من مبلغ الاقوام ان مهلهلا   لله دركما ودر أبيكما

فلما أنشداها البيت ، أوثقت العبدين وقالت : ما أراد أبي إلا ان يقول :

من مبلغ الأقوام أن مهلهلاً   أضحى قتيلاً في الفلاة مجدّلا
لله درّكما ودرّ أبيكما   لا يبرح العبدان حتى يُقتلا

ليس بين يدينا أخبار تذكر عن مطلع حياة الشاعر ، إذ ان التاريخ يتخطّاها بسرعة ، فالذي يهمنا ، ونحن بصدد الكلام عليه ، ذكر التناحر الطويل الذي ألهب حرب البسوس ، ودام ، على ما قيل ، أربعين سنة من ٤٩٤ الى ٥٣٤ ، وكان سببه الخلاف الذي وقع بين الأخوين : بكر وتغلب .

أمّا أيامه المشهورة فخمسة : يوم النهي ، يوم الذنائب ، يوم عنيزة ، يوم واردات ، يوم تحلاق اللمم .

على ان المنذر بن ماء السماء ، ملك الحيرة ، استطاع ، بعد مقتل المهلهل ، في المعركة الاخيرة ، – خلافاً لاطروفة الكلبي – حقن الدماء ، والاصلاح بين العشيرتين المتحاربتين . ولتوطيد السلام بينهما أخذ من كلّ منهما مئة رهينة ، حتى اذا كان اعتداء من احداهما على الثانية ، قتلت رهائنها .

وبعد ان ولي الملك عمرو بن هند ، ظل على نهج أبيه في الارتهان . ورغم ذلك فان خلافاً جديداً ، وقع بعد زمن ، بين الفريقين ، كادت الحرب معه تعود الا الاشتعال . ذلك ان ركباً من تغلب وركباً من بكر قصدا جبلي أجأ وسلمى[1] من جبال طيء لقضاء حاجة من حاجات الملك، ونزلا بين الشيبانيين، أحلاف البكريين. ومما يروى أن ركب تغلب صد عن الماء فهلك عطشاً. ولما طالب التغلبيون بديات قتلاهم تمنعت بكر من أدائها . فكان لا بد لأشراف القبيلتين ، من الاحتكام الى عمرو بن هند ٥٥٤ — ٥٦٩ « فجعل في وثائق عنده سبعين رجلاً من أشراف بكر بن وائل ، حتى اذا كان الحق لبني تغلب دفعهم اليهم ، وإن لم يكن لهم حق أخلى سبيلهم . »

ولما كان يوم التقاضي الموعود ، انتدبت كل من القبيلتين ممثلا لها يدافع عنها، فكان عمرو بن كلثوم رسول تغلب، وكان النعمان بن هرم رسول بكر . ولميل عمرو بن هند الى التغلبيين، اغتنم فرصة جدال قام بينه وبين النعمان طرده من حضرته بسببه، فاستخلفته بكر بالحارث بن حلزة . وبدلاً من ان يستفيد ابن كلثوم من هذا الظرف المؤاتي، ومن إيثار الملك لبني قومه، راح ينشده معلقته؟— أو بعضها؟ — بعنفوانه المعهود، ويتعالى عليه ، فلم يرع له حرمة .

---

(1) قال زيد الخيل في ذكر اجأ وسلمى :

جلبنا الخيل من أجأ وسلمى ... تخب نزائعاً خبب الذئاب
جلبنا كل أجرد أعوجي ... وسلهبة كخافية العقاب

بعكس ابن حلزة الذي أوحى له دهاؤه بالمصانعة والمداهنة ولين الجانب ، فكانت النتيجة الحتميّة ، ان حكم عمرو بن هند مرغماً للبكريين على التغلبيين . فغضب بنو تغلب لهذه النتيجة وسخط شاعرهم .

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ ، بل كانت الحادثة المشهورة التي قتل فيها الملك بيد الشاعر التغلبي . ومفادها ان عمرو بن هند ، وهو المزهو بعز الملك ، قال يوماً لندمائه : هل تعلمون أحداً من العرب تأنف امه من خدمة امي ؟ فقالوا : لا نعلمها الا ليلى ام عمرو بن كلثوم. قال: ولمَ ذلك ؟ قالوا : لأن اباها مهلهل ربيعة، وعمها كليب بن وائل أعزّ العرب، وبعلها كلثوم بن مالك افرس العرب ، وابنها عمرو بن كلثوم سيد قومه . فأرسل عمرو بن هند الى عمرو بن كلثوم يستزيره ، ويسأله أن يزير أمه أمه . فأقبل عمرو من الجزيرة ، في جماعة من بني تغلب ، وأقبلت ليلى في ظعن من نساء تغلب. وأمر عمرو بن هند برواقه ما بين الحيرة والفرات ، وارسل الى وجوه اهل مملكته فحضروا . ودخل عمرو بن كلثوم رواقه ودخلت أمه ليلى قبة هند أم الملك عمرو وعمة امرىء القيس الشاعر. وكان عمرو بن هند قد اوعز الى أمه ان تنحّي الخدم ، وتستخدم ليلى اذا دعا بالطُرَف . فلما كان ذلك قالت هند : يا ليلى ، ناوليني الطبق . فقالت ليلى : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها. فأعادت عليها، فلما الحت، صاحت ليلى : واذلّاه ، يا لتغلب . فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ، فوثب الى سيف لعمرو بن هند معلّق بالرواق ، وليس

هنـــاك سيف غيره ، فضرب رأس الملك ، ونادى في بني تغلب فانتهبوا جميع ما في الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة.»

وكانت ولادة المعلقة .

وكان من الطبيعي ان يستحكم العـداء بين قبيلة الشاعر وبين قوم الملك القتيل .

يرى طه حسين في كتابه « الأدب الجاهلي » ان حادثة قتل عمرو بن هند أقرب الى الاسطورة منها الى الواقع ، لاسيما وان التأريخ لم يثبتها في نص صريح. فكيف يقتل هذا الملك المشهور، وتنطوي الواقعـة بهذه البساطـة بين المناذرة والتغلبيين من جهة وبين ملوك الفرس وأهل البادية من جهة ثانية .

على اننا نرى أن الامر لم ينته بهذه السهولة، فقد ظل التغلبيون بعده يعانون التشرد زمناً، يناوئهم المناذرة وأحلافهم ويحاربونهم. فالمنذر الرابع ، شقيق الملك القتيل ، اضطرهم الى الجـــلاء عن الجزيرة فأمّوا الشام موطن الغساسنة. ذكر ابن الاثير من حوادثهم هناك عدم استقبالهم للحَرث بن ابي شمِـر أحد ملوك غسان عند مروره يوماً بهم ، فنتج عن ذلك قتال بين التغلبيين وبين غسّان، ذهب ضحيته عدد كبير من الغساسنة المنهزمين، بينهم شقيق الملك:

وإلى ذلك يشير عمرو بن كلثوم في قوله مخاطباً الحرث .

هلا عطفت على أخيك إذا دعا بالثكل، ويل أبيك، يا ابن أبي شمر

وفي عهد ابي قابوس النعمان بن المنذر عاد التغلبيون الى الجزيرة فتصدّى المناذرة لمحاربتهم بقيـادة المنذر ابن ملك الحيرة . وفي

هذه المرة ايضاً كان الانتصار حليف بني تغلب .

وسنرى الاخطل التغلبي ، فيما بعد ، يلمح مفتخراً على جرير، الى حادثة مقتل عمرو بن هند وسواه من الملوك ، وذلك في قوله:

أبني كليب ، ان عميّ اللذا قتلا الملوك، وفككا الاغلالا

ويسانده الفرزدق في ذلك قائلاً :

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة عمراً ، وهم قسطوا على النعمان

أي جاروا عليه وظلموه .

واذا توعد النعمان عمرو بن كلثوم بعد هذا هجاه الشاعر وعيّره بامه سلمى .

اما وفاة شاعر بني تغلب فقد كانت عام ٦٠٠ م . بعد ان عمّر طويلاً ، حتى ان من الرواة من يزعم انه بلغ من العمر مئة وخمسين سنة . وله وصيّة خاطب بها بنيه قبل موته ، يشك في صحتها .

وقد ذكر ابن قتيبة رواية ثانية عن موت الشاعر ، مفادها انه لما أُسر في بني حنيفة ، ظل يشرب الخمر من غيظه ، حتى وافاه الاجل. قال صاحب الاغاني: « كان لعمرو عقب كان باقياً الى أيامه » .

النفس الملحمي

أهم ما وصلنا من شعر عمرو بن كلثوم ، الى جانب شذرات في الفخر والمدح والهجاء، نونيّة شهيرة، هي الخامسة بين معلقات الجاهليّة، وقد بلغت المئة بيت، وزعم بعضهم انها جاوزت الالف. قيل إنه انشدها في سوق عكاظ وفي موسم مكة ، وكانت نشيد فخر واعتداد في أفواه التغلبيين، فلها بالاضافة الى منزلتها الادبية، منزلة قومية . ولقد اتخذ أحد اعدائهم من ذلك ذريعة لهجائهم، فقال :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة　　قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونها أبداً مـذ كان اولهم　　ياللرجـال لشعر غير مسؤوم

ويعتقـد ان قسمي القصيدة نظـما في زمنين مختلفين ، زمن الاحتكام المعروف أو التقاضي ، وزمن مصرع عمرو بن هنـد ، على ان الاصمعي يرفض هذا الزعم، ويعتبرها وليدة عهد واحد، هو عهد التحكيم ، وبذلـك يكون قد هدم الكثير من حقيقة مصرع الملك وحقيقة القصيدة التي شك طـه حسين في صحتها ، واعتبرها منحولة، وهكذا كان رأيه في معلقة الحارث بن حلزة،

فالقصيدتان، في نظره، وما يشبههما مما يتصل بالخصومة بين بكر وتغلب ، انما هو من آثار التنافس بين القبيلتين على الاسلام لا في الجاهلية .

وليس من دليل أو شبه دليـل ، على ان معلقة عمرو نظمت بعد مقتل الملك ـ اذ ان معظم ابياتها متصل بحادثة التقاضي ـ سوى بيت واحد ، هو الذي يقول الشاعر فيه :

تهدّدنا ، وتوعدنا ، رويداً متى كنا لامك مقتوينا

وقد يكون هناك سخط على عمرو بن هند من قبل التغلبيين، سابق لحادثة الطرف،مردّه الى تولية الملك عليهم احد الامراء من قبله ، وبنو تغلب المتمردون يأبون ذلك. يقول الشاعر في ذلك:

بأي مشيئة عمرو بن هند نكون لقيلكم فيها قطينا

والقيل ممثل الملك والقطين الخادم .

ولعل اوضح الابيات التي أغضبت عمرو بن هند بيتان هما :

فان قناتنا ياعمرو أعيت على الاعداء قبلك ان تلينا
وأيام لنـا غرٍ طوالٍ عصينا الملك فيهـا ان ندينا

اما اشهر ممدوحي ابن كلثوم فيزيد بن عمرو.واشهر مهجويه عمرو بن هند والنعمان ابو قابوس .

يستهل الشاعر معلقته بمقدمة تقليدية، طويت على ذكر الخمر، ووصف الحبيبة ، والتفاخر ، بما فيه من دفاع وتهديد ، شأن

الشعراء الفرسان ؛ وعلى هذا يقوم قسمها الاول .

فمما جاء فيه قوله :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقي خمور الاندرينا
مشعشعة كأن الحص فيها ... اذا ما الماء خالطها سخينا
وكأس قد شربت ببعلبك ... واخرى في دمشق وقاصرينا
وإنا سوف تدركنا المنايا ... مقدّرة لنا ومقدرينا
وإن غداً وإن اليوم رهنٌ ... وبعد غدٍ بما لا تعلمينا
قفي قبل التفرق ياظعينا ... نخبرك اليقين وتخبرينا
بيوم كريهةٍ ضرباً وطعناً ... اقرّ به مواليك العيونا

اما القسم الثاني، فامتداد للفخر والتباهي وذكر الانفة. فبعد قوله ان خمرته شامية، يشربها وقومه بسخاء، وان حبيبته مصدر وحي ومحط فكر، يتناول، ما يهدف اليه، مباشرة، وهو مخاطبة عمرو بن هند، حيث يظهر استعلاء الشاعر وكبره، فهو سيّد تغلب، منجبة الفرسان والابطال، وملك الحيرة وحده المسؤول عن ضحاياها، يوم بعث بالركبين الى جبلي اجأ وسلمى في بعض حاجاته، فتعاون البكريون مع بني شيبان احلافهم، على إبادة التغلبيين عطشاً. فعليه إذن الاقتصاص من الغادرين، وإلا فالسيف خير الحاكمين.

ومن غير تغلب للحرب اذا دعيت لها، انها صاحبة المجد العريق وسيدة الساحة الحمراء، تطحن القتلى، وتستخف بالهول، حاسبة القتل في الحرب فخراً :

أبا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد روينا
ورثنا المجد قد علمت معدٌ نطاعن دونه حتى يبينا
بشبّان يرون القتل مجداً وشيب في الحروب، مجربينا
بسمر من قنا الخطي لدن ذوابل، او ببيض يعتلينا
نشق بها رؤوس القوم شقاً ونخليها الرقاب فتختلينا
كأن جماجم الابطال فيها وسوق بالأماعز يرتمينا
نجزّ رؤوسهم في غير برّ فما يدرون ماذا يتقونا
كأن سيوفنا منا ومنهم مخاريق بأيدي لاعبينا
كأن ثيابنا منا ومنهم خضبن بأرجوانٍ او طلينا

وقد اختلف الراوة في مطلع القصيدة فجعله قوم : «ألا هبي بصحنك فاصبحينا» وجعله آخرون : «قفي قبل التفرق ياظعينا». لكنهم اتفقوا على إشراك عمرو بن عدي بالبيتين التاليين:

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا
ومـا شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا.

فأية مشيئة لعمرو بن هند حاولت استخدامنـا، ونحن قوم لا نذل ولا نلين، ورثنا المجد عن آباءٍ صدقٍ، ووفينا الذمم، وحفظنا الجوار، وأعنّا نزاراً على اليمن يوم شبت نيران الحرب في خزازى، وساعة نحمل على الاعداء، نعود بالملوك مقيدين، ويكتفي البكريون بالانعام والسبايا:

بـــأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

ونحن غداة أُوقد في خزازى | رفدنا فوق رفد الرافدينا
وكنا الايمنين إذ التقينا | وكان الايسرين بنو ابينا
فصالوا صولة في من يليهم | وصلنا صولة في من يلينا
فآبوا بالنهـاب وبالسبايا | وأُبنا بالملوك مصفّدينـــا

فابتعدوا يا بني بكر، بعد ان خبرتم منا اليقين، ورأيتم انحناء السيوف علينـا والدروع الواسعة، تلك التي اذا خلعها الابطال بانت جلودهم سوداً لكثرة لبسهم لها. وتحملنا الى الحرب خيول جرد خفاف:

اليكم يا بني بكرٍ إليكم | ألمّا تعلموا منا اليقينا
المّا تعلموا منا ومنكم | كتائب يطـّعن ويرتمينا
وتحملنا غداة الروع جرد | عُرفن لنا نقائذَ وافتـُلينا
ورثناهنّ عن آباء صدقٍ | ونورثها اذا متنا بنينا

في مثل هذه الاجواء من التعالي والتفاخر، يسير ابن كلثوم في معلقته، حتى اذا بلغ بهـا نهاية المطـاف، ثار ثورته الاخيرة فرأى قومه عند استلال السيوف آباءً لجميع الناس، يحمونهم، ويطعمون الضيفان، ويهلكون الاعداء، فلهم السلطان الفرد، ملأوا بعزهم البر والبحر وجعلوا الجبابرة يسجدون لصبيتهم اذا بلغوا الفطام:

كأنـّا والسيوف مسلـّلات | ولدنا الناس طراً أجمعينا
وقد علم القبائل من معدّ | اذا قبب بأبطحها بُنينا
بأنـّا العاصمون إذا أُطعنـا | وأنا العارمون اذا عُصينا

وأنـّا المطعمون إذا قَدَرْنا   وأنـّا المهلكون اذا ابتلينا
وانا المانعون لما أردنا   وانا النازلون بحيث شينا
ونشرب ان وردنا الماءَ صفواً   ويشرب غيرنا كدراً وطينا
على آثارنا بيض حسان   نحاذر ان تُقسم او تهونا
اذا ما الملك سام الناس خسفاً   ابينا ان نقر الخسف فينا
الا لا يحسب الاعداء انّا   تضعضعنا ، وانّا قد ونينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا   وماء البحر نملأه سفينا
اذا بلغ الفطام لنا صبيٌّ   تخرّ له الجبابر ساجدينا .

في هذه المعلقة ، الحاملة نَفساً ملحمياً بيناً ، ثورة نفسية لا تعرف الاعتدال . فهذا الشاعر الحامل واقع الروح الجاهلية اسطوري المظهر بانفعاله ، يهاجم الملك بعنف وقسوة ، غير عابىء بحدود المكان والزمان ، يسأله ان يستعرض امام عينيه امجاد قبيلته تغلب .

وفيها انساق عاطفي وخيالي ولفظي جارف ، مردّه الى صدق الاحاس وصفاء التعبير ، دون ان يكون هناك ترابط بين الاجزاء ، ووحدة تأليفية ، أو بناء شعري ، بل اندفاع في الحس والعرض لا يشدّه تماسك .

لا شك ان في ما ينطوي عليه هذا الشعر ، صوراً متقطّعة تصلح لان تكون جزئيات ملحمية . ولكنها لا تنضوي تحت لواء الوحدة ، ولا ترتفع الى مستوى الخوارق . واذا كان فيها تلميحات تأريخية ، وهي من مميزات الملاحم ، (من مثل

الاشارة الى شيء من صناعـات العرب وملاهي أولادهم ، والى مشاركة النساء ابطالهن في القتال ، والى كون ام النعمان ابنة صائغ وكون أخيها من نافخي الكير في يثرب) فان تلك التلميحات وامثالهـا تظل اشارات خاطفة لا تفي بمـا تتطلبه الملحمة من تسلسل في العمل القصصي .

والشاعر في المعلقة هو الراوية وهو البطل في آن ، بعكس الحال في الملاحم ، إذ تقوم أبطال القصة بالقول والفعل . ويظل الشاعر وراء ستار الذاتيّة .

ان بين عمرو بن كلثوم وجدّه المهلهل (الذي لولا عصف الرياح لاسمع صليل سيوف قومه على مسافة عشرة ايام)، ميزات كثيرة مشتركة، منها الاكثار من الفخر والمبالغة فيه، والتبجح والتهديد، والكذب الشعري ، والاندفـاع العاطفي المتطرف والمباهـاة ، والهلهلة والتكرار ، لذلك يتساءل طه حسين في شكه ، اذا كان هكذا ينظم الجاهليون .

وهو مثله لا يقيم للخيال التصويري وللصنيع الفكري مخطط بناء ، فكل ما في الأمر نفس تثور فتتخطى الحـدود ، وترفل بثوب من الألفاظ لم تحكم الصناعـة الفنية نسيجه . فالفخر عند ابن كلثوم غليان وتهوّر ، صورة لنفسية عريقة تود الاستئثار بفضائل الجاهلية ورد مناقب قومها اليها .

ويظهر تأثره بجده على اشده في مخاطبة عمرو بن هند حيث يكثر افتخاره وتهديـده ، ويمتزج اعتداده بالحماسة ، فـلا يبقى

بجانب الاندفاع العاطفي مجال لعمل اليد والفكر والخيال . فهو يجاوز بتدفق شعوره وتدافع احاسيسه كل حد، غير تارك للصنيع الفني ، في هذا الهيجان ، سبيلاً الى التنقيح والتهذيب، فاختلط الجيّد بالرديء عنده، والصلب باللين، وازدحم التكرار والاسراف في الغلو . لقد مثل في معلقته عنفوان البدوي وإباءه وصلابته ، فضج في تضاعيف الابيات انفعال النفس الجاهلية وغليانها .

ولا تفارقه الانانية بصيغة المفرد او الجمع في احتكار المناقب لنفسه ولقومه . فأية أثره تلك التي تدفعه الى القول :

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا .

فهل نعجب بعد هذا كله ان يكون التغلبيون، في احتكامهم الى عمرو بن هند من الخاسرين ؟

وعبثاً أرادت العواذل — وهم في الشعر العربي اشخاص رمزيون — صد الشاعر عن اقتحام المخاطر ، وإتلاف المال ، والتمادي في الغواية ، فهو يأبى الا ان يبلغ بذلك اعلى الدرجات.

وإن شاعراً من هذا الطراز أقل صفاته الكرم، وهو القائل:

لا تلوميني ، فاني متلف كل ما تحوي يميني وشمالي

وللمعلقة ميزات عالية في الشعر، فهي بالاضافة الى ما ذكرنا، تعد من ارفع المطولات ، لما يزينها — رغم الشوائب — من سهولة وانسجام ودفق موسيقي ولحظات ملحمية . ومهما غالت وكاثرت تظل النموذج الغنائي الزاخر المحبب، لا تتبغّض لأنها تنطق بلسان العاطفة الصادقة والاحساس الوجداني المحض .

أما الاقوال في علوّ منزلتها الادبية والقومية فكثيرة ، ومعظمها من قبيل الاحكام الجوفاء المتّبعة . نكتفي منها بقول المفضل الضبي : « لله در عمرو بن كلثوم ، لو انه رغب في ما رغب فيه أصحابه من كثرة الشعر ، ولكن واحدته أجود من مائتهم». ويقول عيسى بن عمر الوارد في جمهرة أبي زيد القرشي: « لو وضعت أشعار العرب في كفة ، وقصيدة عمرو بن كلثوم في كفة ، لمالت بأكثرها . »

على ان ابن سلام عدّه مع الحارث بن حلّزة وعنترة ، في الطبقة السادسة من الشعراء الجاهليين . » ولم يجمع النقاد يوماً على تفضيل شاعر .

الالياذة

وأبيات عمرو بن كلثوم الملحمية

فيما يلي نثبت ما ورد لعمرو بن كلثوم من ابيات ملحمية في شروح الالياذة ، أثبتهـا سليمان البستاني للتشابه الذي رآه بينها وبين أبيات مماثلة لها ، في ملحمة الاغريق الكبرى :

* * *

قال هكطور :

يساريَ بالترس يميني مثل ورقصيَ في الحرب يعلي شؤوني

يظهر من هذا السياق ان اليونان كانوا يتنافسون بخفة الأعضاء في الضرب والطعن وقلة العبء بمواقف القتال وثقل السلاح، وهو كثير في كلام العرب . قال عمرو بن كلثوم :

كأن سيوفنا منا ومنهم مخاريق بأيدي لاعبينا

والمخاريق جدائل الصبيان

* * *

قال اوذيس :

زفس قد علمنا سل السيوف بصبانا ، وإلى يوم الحتوف

قال عمرو :

نصبنا مثل رهوة ذات حد محافظة وكنا السابقينا
بشبان يرون القتل مجداً وشيب في الحروب مجربينا .

* * *

قال هوميروس :

فدارت ولا كرة حيث مرت وتلقاه هكطور في الترب قرّت

قال عمرو بن كلثوم يشبه الرؤوس المقطوعة بالكرات التي يدحرجها الغلمان الشداد في مطمئن الارض :

يدهدون الرؤوس كما تدهدي حزاورة بأبطحها الكرينا

* * *

كان الاغريق يرددون ذكر انسابهم ووقائع آبائهم واجدادهم في كل حديث فهي محط فخارهم وفكاهتهم في كل مكان ، وهو شأن اكثر الامم . الا ترى ان الشعر الجاهلي العربي لا تكاد تخلو منه قصيدة من هذه الاقاصيص وتلك الحماسة . واليك منها مثالاً من معلقة عمرو بن كلثوم :

ورثنا مجد علقمة بن سيف أباح لنا حصون المجد دينا
ورثت مهلهلاً والخير منه زهيراً نعم ذخر الذاخرينا

وعتّاباً وكلثوماً جميعاً   بهم نلنا تراث الاكرمينا
وذا البرة الذي حدثت عنه   به نحمى ونحمي المحجرينا
وما قبله الساعي كليب   فأي المجد الا قد ولينا .

* * *

هذا كل ما عثرنا عليه من ابيات لعمرو بن كلثوم في شرح الالياذة .

الحارث بن حِلّزة

القرن السادس

الحِلّزة : اسم دويبة تكون داخل الصدف ، واسم للبومة، وصفة للمرأة القصيرة والبخيلة ، والحلزة ايضاً : السيء الخلق .

على أن أبا ظليم الحارث أو الحرث بن حلزة البكري المنتهي نسبه إلى ربيعة ، كان على عكس ما لكنية أبيه من معان ، وقد أغفل التأريخ سبب لصوقها به . فشاعر بكر عرف بالحكمة ، والروية ، والمصانعة ، وتلقي الأحداث برزانة وتعقل . وهو كابن كلثوم ، يمر التأريخ بمطلع حياته سراعاً ، حتى كان يوم الاحتكام المعروف الى عمرو بن هند على أثر هلاك ركب التغلبيين من الظمإ في أرض بني شيبان ، وكان خطيبهم عمرو بن كلثوم ، كما رأينا ، كما كان النعمان بن هَرِم ، من بني ثعلبة خطيب البكريين. وكان هذا الاخير أبرص أصمّ أصلع. فلما ضمّه البلاط أراد شاعر تغلب التحرّش به ، فقال له : « يا أصمّ » جاءَت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم، وهم يفخرون عليك . قال : وعلى من أظلت السماء يفخرون، ثم لا ينكر ذلك . قال عمرو : والله

لو لطمتك لطمة لما أخذوا لك بها. فقال النعمان: واللهِ لو فعلت، ما أفلت بها أنت ومن فضلت». فلما سمع عمرو بن هند تعريض خطيب بكر بـه ، ورأى تطاوله على شاعر تغلب ، وهو يؤثر التغلبيين على البكريين ، حصل نقاش بينه وبين النعمان « أظهر فيه هذا الأخير صلفاً وعنتاً ، فطرده الملك من حضرته ، فقال الحارث لبني قومه في هذا المأزق : « أنا محتمل ذلك » .

عندها، وقف ابن كلثوم لانشاد قصيدته، وكان باستطاعته الاستفادة من هـذا الظرف المؤاتي ، لكنه لم يفعل ، بل راح يتجاوز بفخره حرمة المليك ، ظناً منه ان غضب ابن هند كاف للنيل من الاعداء .

والظاهر ان ابن حلزة الحكيم الرزين ، كان قـد تدبر للأمر قبل وقوعه ، وأعـد ليوم الاحتكام قصيدة ، فيهـا الى جانب الشاعرية ، الدهـاء السياسي ، والحجة الدامغة . وبغير ذلك لا يستطيع دفع مـا يضمر الملك من ميـل الى التغلبيين خصوم قبيلته .

قيل ان من عادة العرب عـامة وعمرو بن هند خاصة ، أن يكلم الشاعر مليكه من وراء سبعة ستور ، اذا كان في المادح برص . ثم ينضح أثره بالماء . وقـد خشي ابن حلزة ، وهو سيد شعراء بكر ، أن يتصرّف معه عمرو بن هند كما يتصرّف مـع سائر المادحين البرص ، فروّى قصيدتـه لنفر من بني قومـه ، لينوبوا عنه في إلقائها ، فلم يحسنوا في نظره الانشاد. فلم يجد عند

ذاك بدءاً ، بعد ان كان ما كان من أمر النعمان وإسماع ابن كلثوم طويلته ، من انشاد القصيدة بنفسه ، متحملاً الضعة في سبيل المصلحة العامة ، فطلع بها على الملك وأنقذ الموقف .

وساعة دخل عليه ، وأقيمت بينهما الحجب غضب غضباً شديداً ، وفقد شيئاً من وعيه ، حتى انه لم يشعر ، في أثناء الانشاد ، بالرمح للذي اتكأ عليه ، وقد ترك أثراً في جسده من كثرة العنف ، كما يقول صاحب « أدب الكاتب » .

وقد أعجب الملك بالقصيدة ، وكانت أمه هند حاضرة تسمع ، « فقالت لابنها : بالله ما رأيت كاليوم قط ، رجلاً يقول مثل هذا القول ، يتكلم من وراء سبعة ستور . فقال الملك : ارفعوا ستراً وأدنوا الحرث » . وما زال اعجاب هند يزداد ، والملك يأمر برفع ستر بعد الآخر ، حتى أزيلت الستور السبعة . ثم أجلس الملك الشاعر بقربه وأكرمه غاية الاكرام ، فاطعمه في جفنته « وأمر أن لا ينضح أثره بالماء » حسب العادة المتبعة ، ودفع اليه رهائن قومه . ولشدة اعجاب عمرو بن هند بقصيدة الحرث « أمره أن لا ينشدها الا متوضئاً » كأنها صلاة تتلى . فلا غرو أن تغدو هذه الحادثة مجال اعتداد للبكريين ، وأن يضرب المثل بمديح الحارث وفخره .

ولقد غالى الرواة في اصطناع الغرائب حول قبيلتي بكر وتغلب ، وحول شاعريها والقصيدتين . فكان موالو كل قبيلة يبالغون في ردّ المفاخر اليها . فاذا ما زعم أحدهم ان عمرو بن

كلثوم ارتجل قصيدته هب آخر لاضفاء الفضل نفسه على الحارث بن حلزة ، مع الملاحظة ان قضية الارتجال هذه مرفوضة قطعاً ، فما في القصيدتين من علوّ الطبقة ، لا سيما مـا في قصيدة الحارث من الرصانة والمتانة الجاهلية وقوة السّبك والحجج الراهنة ، لا يترك شبه ظنٍّ في عدم ارتجالها. وغير معقول ،أن يقدم الشاعران على يوم الاحتكام المشهود ، وله من الاهمية ما له، قبل الاستعداد التام لجبـه الموقف . وليس الاقواء الموجود في احـد أبيات قصيدة الحارث .

فملكنا بذلك الناس حتى ملك المنذر بن ما السماءِ

– إذ انه وحده مجرور القافية بين أبيات القصيدة المرفوعة القوافي – من الدلائل على الارتجال ، فالاقواء كان شائعـاً في الجاهلية والاسلام ، ومن أشهر من وقع فيـه حكم عكاظ النابغة الذبياني ، رغم علوّ كعبه في الشعر .

واذا ما زعم أحدهم أن ابن كلثوم عُمّر مائة وخمسين سنة انبرى له آخر وأبلغ الحارث السنّ نفسها .

وفي مثل هذه المزاعم سذاجة أوحت بها العصبية المتأصلة .

والثابت ان الحارث كان قد تقدم في العمر يوم انشاد المعلقة ، مجاوزاً في ذلك عمر بن كلثوم . وقد توفي نحو ٥٨٠ غير تارك الى جانب المعلقة سوى شعر يسير لا يمكن التعويل عليه .

النفس الملحمي

تقع همزية الحارث في خمسة وثمانين بيتاً، وهي السابعة والأخيرة بين معلقات الجاهلية ، استهلها بقوله :

آذنتنا ببينهـــا أسماء رب ثاو يملُّ منه الثواء

أي ان الحبيبة أعلمتنا بعزمها على الرحيل ، وهي إن طالت إقامتهـا لا تملّ .

وتنطوي الهمزية على قسمين : قسم في الغـزل التقليدي ، والوقوف بالاطلال ووصف الناقة التي تشبه النعامة وتعين صاحبها على احتمال الهمّ . وقد اقتصد الشاعر في الوقوف عند هذا القسم ، كأن به شوقاً الى بلوغ هدفـه الدفاعي ، فمـا تجاوز به اربعة عشر بيتاً ، وفيه يقول اثر المطلع :

بعد عهد لنا ببرقة شماء فأدنى ديارها الخلصاء
لا أرى من عهدت فيها، فأبكي اليوم دلهاً ، ما يحير البكاء

غير أني قد أستعين على الهم إذا خف بالثويّ النجـاء
بزفوف كأنها هِقلة ام رئـــال دويّة سقفاء
آنست نُبأة وأفزعها القناص عصراً وقد دنا الامساء

وبعينيك أوقدت هند الثأر أخيراً ، تلوي به العلياء
فتنوّرت نارها من بعيد بخزازى ، هيهات منه الصلاء

وينتقل الحارث بلباقة الى غرضه وهو الدفاع الذي استبد بنصف القصيدة وتناول فيه دعوى التغلبيين على البكريين مظهراً انضباط قومه وصدقهم ومفاخرهم ازاء رعونة الخصوم وأكاذيبهم وظلمهم وصغارهم . وقد بدأ دفاعه بوصف إخوانهم الأراقم من بني تغلب ، فالانباء المريبة فيهم مسددة الى قوم الشاعر ، فهم ينسبون اليهم الكذب قصد إشعال الفتنة ، يتشاورون في امر مهاجمتهم تحت جناح الظلام ، حتى اذا طلع الصباح سمعت لهم ضوضاء وجلبة .

ولا يخفى ما في الحديث عن براءة البكريين، وتدبير المؤامرات من قبل التغلبيين من دهاء شعري ، شدّه التماسك والترابط . يقول في دفاعه الفني الناعم :

وأتانا من الحوادث والانباء خطب نعنى به ونساء
أن إخواننا الأراقم يغلون علينا في قيلهم إحفاء
يخلطون البريء منا بذي الذنب ولا ينفع الخليّ الخلاء
زعموا ان كل من ضرب العير موال لنا ، وأنّا الولاء
أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا ، أصبحت لهم ضوضاء
من منادٍ ، ومن مجيبٍ ، ومن تصهال خيل ، خلال ذاك رغاء

أجل إن في هذا القول كثيراً من الدهاء والتوءدة ، لا سيما بالنسبة الى هيجان ابن كلثوم وضعف منطقه . وفيه تهيئة مثلى

للقضية التي يود الدفاع عنها . فبنو تغلب يريدون الاساءة الى البكريين الابرياء ، ينتحلون لهم الذنوب لايقاظ العداوة والفتنة، فاذا نشبت الحرب التي تدبرت الاراقم خطوطها في ظلمة الليل، وسمع لها ضجيج في الصباح ، تكون تبعتها على التغلبيين .

فيا أيها المزين القول للملك بالباطل ، هل يدوم ادعاؤك ؟ لا تظنن ان وشاياتك تنجح ، فقبلك رام الوشاة الايقــاع بنا فما أفلحوا ، بل ظللنــا ، رغم بغضائهم أباة مترفعين ، تنمينا العزة والحصون ، وتنوء دون بلوغنا أبصارهم فمـا استطاعوا الاساءة الينا . فكأن المنون اذا رمتنا ، رمت جبلاً مكفهراً لا تنال منه الدواهي الصماء لقوته ومنعته :

أيهـا الناطق المرقّش عنا عند عمرو ، وهل لذاك بقاء
لا تخلنا على غراتك ، أنا قبل ما قد وشى بنا الاعـداء
فبقينا على الشناءة تنمينا حصون ، وعزة قعساء
قبل ما اليوم بيّضت بعيون الناس فيها تعيُّط وإباء
فكأن المنون تردي بنا أرعن جوناً ينجاب عنه العماء
مكفهراً على الحوادث لا ترتوه للدهر مؤيد صمّاء

في هذا القول توجـه غير مباشر ، الى الملك الواعي الواقف على الحقائق ، وفيه كثير من المحبة والاذعـان له ، وتكذيب لاراجيف الاراقم السريعي الغضب والانفعال .

ويسترسل الحارث في هذا المضمار من دفاعه البليـغ ، مواجهاً التغلبيين بالفخر الموجع المبطّن باللين والدراية، فيقول لهم : اذا كان

لكم من خطة في سبيل التفاهم فابعثوا بهـا مع اشرافكم ، إنا لها مرتقبون . أما اذا اردتم إثارة القتال الذي وقع بيننا ، فانكم لم تدركوا به ثأركم منا ، بـل كانت عاقبته الوخيمة قتلى منكم وأسرى . وعنـد التدقيق فيه يفضي بنا ذلك الى تبرئتنا وإلقاء التبعة والعار عليكم ، فيا ليتكم تخلدون الى الصواب ، فتسكتون عنا لنغمض اعيننا على القـذى ونحن أصحـاب حق ، ويا ليتكم تسألون الصلح لان ما من أحد له علوّ علينا :

أيمـا خطـة أردتم فأدو — هـا الينا تمشي بهـا الاملاء
إن نبشتم ما بين ملحة فالصا — قب فيه الاموات والاحيـاء
أو نقشتم، فالنقش يجشمه النا — س ، وفيـه الصلاح والابراء
أو سكتتم عنا ، فكنا كمن — أغمض عيناً في جفنهـا أقذاء
أو منعتم ما تسألون فمن — حدّثتموه له علينا العـلاء

وإن ظللتم على غوايتكم ، فانتم الذين خبرتم فعالنـا وعرفتم منعتنا ، أيام تغلـّبنا على القبائل ، وبين الناس نهب واغارات وصياح ، نركب النوق من البحرين الى الحساء ، حتى اذا بلغنا بني تميم ، وبين أيدينا سباياهم ، دخلنا في الاشهر الحرم ، فعفـّينا ، وامتنعنا عن القتال ، ولكن بأسنا عمّ الامكنة ، فلا عزيز أقدم على الاقامة بجوارنا ، ولا ذليل نجّاه الفرار منا والاعتصام بالجبال . وبقينا على ملكنا هذا حتى ملك المنذر بن ماء السماء ، انه السيد المطاع ، والشاهد على يوم الحيارين ، يوم قاتل فيه البكريون الى جانبه ، وهو قاهر البرية ، ليس له فيها ند ولا نظير :

هل علمتم أيام ينتهب الناس – غواراً لكل حي عواء
إذ ركبنا الجمال من سعف البحرين سيراً حتى نهاها الحساء
ثم ملنا على تميم فأحرمنا وفينا بنات مُرّ إماء
لا يقيم العزيز بالبلد السهل ، ولا ينفع الذليـلَ النجاء
ليس ينجي الذي يوائل منا رأس طود وحرّة رجلاء
فملكنا بذلك الناس حتى ملك المنذر بن ماء (السماء)
وهو الرب ، والشهيد على يوم الحيارين ، والبلاء بلاء
ملك اضرع البرية ، لا يوجد فيها لما لديه كفاء

هنا يأخذ ابن حلزة بالرد على خصمه مخاطبـاً قومه التغلبيين باللطف والدهاء . مبطلاً دعواهم ، فيذكرهم بمـا بين القبيلتين من احلاف وعهود ، وبالغارات التي هزموا فيها ، قصد الغض من شأنهم ، ويذكر عمرو بن هند بأفجع ذكرياته ، لا يغار صدره على خصومه ، بمقتل أبيه المنذر وتلكؤ التغلبيين عن نصرته . ويتمادى في تفنيد مزاعم هؤلاء الخصوم ، ثم يشرع بتعداد ما لقومه من مناقب ومزايا ومفاخر . واخيراً ينتقل الى عمرو بن هند يستميله بأحلى النعوت ويسترضيه ذاكراً بلطف ما للبكريين من فضل على المناذرة ، وما يجمع بينهم من مودة وقربى ، وما لقومه من صلات ببلاط الحيرة . افلم تردّ بكر عادية قيس وجماعة جبابرة من اولاد الحرائر الكرام ، وتخلص امرأ القيس من القيود دافعة اليه ملك غسان ؟ كل ذلك بأسلوب لبق يوجع ولا يدمي . فيا بني تغلب ، اتركوا التكبر والجهل جانباً والّا افضى بكم الامر

الى التهلكة . ولا تنسوا حلف ذي المجاز ، يوم جمع عمرو بن هند المتخاصمين وأصلح بينهم متخذاً منهم رهائن . فالاهواء الباطلة لا تنقض الوثائق ، ولقد كنا في خلافنا ، يوم اشترطنا ، سواء ، غير انكم ألزمتمونا ذنب سوانا ، فاذا نالت منكم كندة فهل نحن مسؤولون ؟ وهل تعود علينا جنايا أياد وحنيفة وبني عتيق وسواهم ؟ فنحن ابرياء منكم ان غدرتم .

فاتركوا الطيخ والتعاشي ، وإمّا تتعاشوا ، ففي التعاشي الداء
واذكروا حلف ذي المجاز ، وما قدّم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي ، وهل ينقض ما في المهارق الأهواء
واعلموا اننا وإياكم فيما اشترطنا ، يوم اختلفنا ، سواء .
أعلينا جناح كندة أن يغنم غازيهم ، ومنا الجزاء ؟
أم علينا جرّى إياد ، كانيط بجوز المحمّل الاعباء ؟
أم علينا جرّى حنيفة ، او ما جمّعت من محارب غبراء ؟
أم جنايا بني عتيق ؟ فإنا منكم ان غدرتم البرآء .

في مثل هذه الاجواء يسير الحارث بن حلزة في معلقته ، فهل نعجب لفوزه على عمرو بن كلثوم يوم الاحتكام ، وان كانت قصيدته دون قصيدة التغلبي سهولة وروعة وحسن ايقاع ؟ لقد تفوق عليه بالحجة والتسلسل المنطقي والاستناد الى الحقائق التأريخية والفخر المدعوم بالبراهين والشواهد ، الى بلاغة في الصنيع الفني . وكان له من تهور ابن كلثوم خير معين على التفرد برضى الملك الذي يحتكم اليه .

أجل لقد سار بقضية قومه بخطى ثابتة ، وبلغ بمهارته شأواً كبيراً ، فهو الضارب بعنف طوراً وبلين تارة ، يلمح حيناً ويجهر احياناً ، فاقنع عمرو بن هند بعدالة قضيتهم وجعله ينقلب على التغلبيين رغم ميله اليهم .

وفي معلقة الحارث مظاهر الملحمة الجاهلية : دفاع قائم على الدهاء والتريث والمرونة ، وفخر مستند الى الحجة والأحداث ، وحماسة تعتمد مظاهر البطولة ، الى غليان في صفوف التغلبيين ، كأنما دق النفير في ظلمة الليل . ثم ذكر طائفة من ايام العرب ووقائعهم واخبارهم فأفاد تأريخياً .

حسبك من ملحميتها تصوير تلك التعبئة في صفوف الخصوم، عملوا لها في الخفاء ، تحت ستر الظلام ، وانتهت عند الصباح بالصخب والضجيج . ثم رسم المشاهد لأيام بني بكر بانفعال جارف مكبوت لم يهمل معه ناحية التعقل والترصن ، أو أخطأ الحجة ، فأوغل في الحقيقة يلهبها بالفخر والخيال، بينما تمادى ابن كلثوم في الفخر والخيال ففاتته الحقيقة .

ويسيطر على معلقة الحارث اسلوب خطابي ودقة وايجاز عرف به الشاعر ، كأنما الالفاظ ضاقت عن استيعاب المعاني ، مما ينفي امكانية الارتجال التي أراد الأنصار اختلاقها .

على اننا وان كنا شدّدنا في انكار زعم الارتجال – لا سيما فيما يتعلق بالحارث – فاننا لا ننفي امكانية لجوء الشاعر الى شيء منه

أمام ظرف طارىء، وبعد ان استمع الى قصيدة خصمه، ليدحض به بعض ما فوجىء به من حجج .

والمعلقة تخلو من الوقفات الطويلة أمام الأحداث شأن الشعر الملحمي، انما هي نهج خطابي فيه من الدفاع والفخر والحماسة اكثر مما فيه من السرد . أما أقوال المتقدمين فيها فكثيرة، فقد كانت في نظرهم نموذجاً رائعاً للشعر الخطابي والسياسي على السواء .

قال أبو عبيدة : «أجود الشعراء قصيدة واحدة طويلة ثلاثة نفر : عمرو بن كلثوم ، والحرث بن حلزة ، وطرفة بن العبد». وقال أبو عمرو الشيباني : « لو قال الحارث معلقته في حول ، لم يُلَم » . على ان ابن سلام عده ، كما عد ابن كلثوم في الطبقة السادسة بين الشعراء .

الالياذة

وأبيات الحارث بن حلزة الملحمية

لم يذكر سليمان البستاني للحارث بن حلـّزة اليشكري في شرح الالياذة بكامله سوى بيت واحد هو :

وفككناغلّ امرىءالقيس عنه   بعدما طـال حبسه والعناء

وذلك ازاء بيت هوميروس القائل :

وهامَ الاثني عشرَ بالسيف قطع
من بُهَم إليونَ ، وبئس ما صَنَعَ

ذكر هوميروس قطـع رؤوس الاثني عشر فتى مـن أسرى الطرواد تدويناً لجريهم على خطة ذبح الاسرى . ولكنه لم يفته ان أعلن استهجانه تلك العـادة القبيحة ولهذا استدرك بقوله : « وبئس مـا صنع » . كان العرب في جاهليتهم يقتلون الأسرى الا من كان بينه وبين آسره مواكلة ومما لحة فانه يؤمّن . وربما أخذوا عقال الأسير أي فكاكه وأطلقوه بعدجزّ ناصيته. وكانت في مكة سوق لبيع السبايا والاسرى. أما السبايا فكنّ يستبقين

إماء وزوجات وأمـا الأسرى فكانوا الّا فيما ندر يباعون لذوي الثأرات عليهم أو على عشائرهم فيقتلون بمـن قتلوا . أو يفتديهم ذووهم وأصحابهم بمـال يدفعونه الى آسريهم . وكان افتكاك الأسرى من أعظم مفاخرهم . والى ذلك اشار الحارث في بيته مفتخراً . ولمـا جاء الاسلام بطـل الأسر والسبي منـه . وفي الحديث : « لا سبـاً على عربي ولا سبـاً في الاسلام ولا رق على عربي في الاسلام » . ولكن الأسر والسبي ظلّا مباحين للمسلم من غير المسلمين .

عنترة بن شداد

٥٢٥ — ٦١٥

عنتره بن شداد ، عربي من جهة ابيه ، من بني عبس أبناء عم الذبيانيين وخصومهم ، نجدي ، ينتهي نسبه الى مضر . وقد عرف بهذا اللقب لكثرة صياحه في الحروب ، تشبهاً بالعنترة واحدة العنتر ، أي الذباب .

ومن كناه المفلّس ، وعنترة الفوارس ، وعنترة الفلحاء لانشقاق شفته السفلى . وهو احد أغربة العرب الثلاث . وقد جاءه سواد اللون من أمه الحبشية زَبِيبَة . ولما كانت سبيّة لم يعترف شداد بأولادها ، جرياً على عادة العرب مع الاولاد الهجناء ، لا سيا اذا كانوا سوداً ، ما لم تظهر عليهم النجابة . واحتقره بالتالي اعمامه واخوته الاحرار وابناء عشيرته .

على أن عنترة نشأ في نجد شجاعاً كريم النفس ، وتفرّد بمزايا خلقية وبطولية ، جعلته محط أنظار قومه رغم استخفافهم به وحسدهم له . فهو « سمح المخالقة اذا لم يظلم » يكبح جماح اهوائه :

اني امرؤٌ سمح الخليقة ماجدٌ لا أُتبع النفسَ اللجوج هواها

يبيت على الطوى ويظله « حتى ينال به كريم المأكل » . وهو القائل في عفته :

وأغضُّ طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

والقائل في هذا السمو الخلقي :

ولكن تبعد الفحشاء عني كبعد الأرض عن جوّ السماء

والأقوال في مزاياه النفسيّة وشجاعته لا تحصى ، فهو الى جانب البأس والقوة حليم لين الطباع يعف عن النساء وعن المكاسب تاركاً لبني قومه الأسلاب ، يسقي الخمر ويقري الضيفان ، ينصر المظلوم ويحنو على المستنجد .

قال النبي العربي : « ما وصف لي أعرابي قط ، فأحببت أن أراه إلّا عنترة » . وأولع العبد الأسود بحب عبلة ابنة عمه مالك من صغره ، فتمنى ان يحظى بها يوماً ، فكان عليه ان يغامر في سبيل هذا الحب الباكر الذي ألهب فيه روح الشاعرية فيما بعد . لكنه رغم اعتراف ابيه المتأخر به ، لم يظفر بمحبوبته التي شغلت حياته كلها .

وبدأ كفاح عنترة في سبيل الحرية يود لو يمحو سواد لونه ببيض فعاله . وعرف العبسيون مقامه ، فارادوا استغلاله ، في مقاومة الأعداء ، فكانوا اذا هوجموا استنجدوا به وحضّوه على القتال لرد الغارات عنهم ، ممنينه بالحرية وبعبلة ، حتى اذا كر

وصدم الأعداء وهزم الخصوم ، حرموه من الغنائم ومنعوه من حبيبته .

وطار صيته في دنيا القوافي كما ذاع ذكره في ميادين الفروسية والقتال، غير أن سواد لونه بقي حاجزا بينه وبين نيل الرغائب كاملة ، فالمعلوم أنه مات ولم يحظ بابنة عمه .

وكم تألم عنترة لجعله في طبقة الرعيان يحلب ويصر ، وهو صاحب النفس الأبية والخلق العالي والشجاعة النادرة والشاعرية الفذة . وقد استعان بكل هذه الاسلحة للخلاص من عبودية فرضها عليه القدر بقسوة وأقرتها عوائد البيئة برعونة . أيكون مضرب الامثال في الشجاعة والشعر والاباء عبداً ، ويكون من هم دونه أحراراً ؟

ولم يكن ليجهل قدر نفسه وحاجة قبيلته اليه ، والغزوات على أرضها ستتكرر ، وسيناديه قومه عند الحاجة ويستنجدون به ، وسيكر مراراً ، ثم يحجم مراراً وقد فقه سوء مخبرهم ، قائلاً لهم : أنا لا اصلح للكر بل للحلابة والصر ، حتى اذا مني بالحرية وبعبلة من جديد ، أنجد العشيرة ودحر المعتدين . وقد رويت حكايات كثيرة عن اعتراف والده به ، وكلها تدور على الشكل الواحد . لعل أشهرها يوم أغار حي من العرب على بني عبس ، وامعنوا فيهم سلباً ونهباً ، وكانت عبلة من جملة الأسرى . فلم يجد شداد بدّاً من وعد عنترة بالحرية اذا انقذهم ، فلحق بالغازين ، فاسترد منهم الأسلاب واستعاد حبيبته . وقد وفى

الوالد هذه المرة بوعده فحرر ابنه على ان العم ظل على تعنته فلم يزوجه ابنته .

هذا ووقائع عنترة كثيرة اختلط الصحيح منها بالموضوع . من اشهر مواقفه في ساحات القتال اشتراكه بحرب داحس والغبراء ، اذ أبلى البلاء الحسن، وقتل في اثنائها ابني ضمضم المري الذي يقول فيه :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر
للحرب دائرة على ابني ضمضم

الشاتمي عرضي ولم أشتمهما
والناذرين ، اذا لم القهما ، دمي

ان يفعلا ، فلقد تركت أباهما
جزر السباع وكل نسر قشعم

وحارب الفرس الفرس في يوم ذي قار عام ٦١٠ وان لم يذكر ذلك في شعره فاخذت العرب فيه من العجم بحق كما يقول النبي العربي.

وفي عام ٦١٤ اشترك في قتال مع بني طيء سقط فيه قتيلاً .

والأخبار عن موت عنترة متضاربة ، يستدل من بعضها انه مات مقتولاً، ويستدل من بعضها الآخر أنه مات من الكبر بعد ان بلغ التسعين من العمر .

اتفق ابن حبيب وابن الكلبي على انه « أغار يوماً على بني نبهان من طيء ، فأطرد لهم طريدة وهو شيخ كبير ، فجعل

يرتجز ، وهو يطردها » . فلحق به وَزَر بن جابر النبهاني فرماه وهو يقول : « خذها وأنا ابن سلمى » . فلما أصابه تحامل عنترة بالرمية ، واتى أهله جريحاً وقال :

وان ابن سلمى عنده، فاعلموا ، دمي
وهيهات لا يرجى ابن‌سلمى ولا دمي

رماني ، ولم يدهش ، بازرق لهذم
عشية حلّوا بين نعف ومخرم .

وهذه الحادثة هي اشهر ما روي عن مقتله .

على ان ابن الكلبي يناقض نفسه فيقول : « وكان الذى قتله يلقب بالاسد الرهيص » .

ومن اخبار موت عنترة ايضاً ما رواه أبو عمرو الشيباني وأبو عبيدة . قال الأول : « انه غزا طيئاً مع قومه ، فانهزمت عبس ، فخر عنترة عن فرسه ، ولم يقدر من ان يعود فيركب ، فدخل دغلاً وابصره ربيئة طيء فنزل اليه ، وهاب ان يأخذه اسيراً فرماه وقتله . »

وقال الثاني : « انه قد أسن واحتاج، وعجز بكبر سنّه عن الغارات . وكان له على رجل من غطفان بعير ، فخرج يتقاضاه اياه، فهاجت عليه ريح من صيف وهو بين شرج وناظرة فأصابته وقتلته » .

هذا هو عنترة الذي وان استطاع خلع نير العبودية بجدّ

السيف ، فقد بقي في حياته منه رواسب لا تزول. فكيف يمحو لونه في أعين الأعراب المتعصبين للأنساب، وكيف ينسيهم أصل أمه ، وعبودية اخوة له ، هم ابناؤها ، والعرب شديدوا التفاخر بكرم الأمومة والخؤولة . وكيف ينتزع من افواههم ألقابه الدالة على سواد لونه ، وهي كثيرة .

ولكم كافح بشعره وسيفه لهدم المعيرّين وحماية الضعة التي يجب ان تنقلب معه الى رفعة ، فيذكرنا بقول المتنبي في رثاء جدته : « لكان أباك الضخم كونك لى أمّاً » . فيقول في مثل هذا المجال مفتخرا بأصل أبيه وأمه :

وأنا المجرّب في المواقف كلها   من آل عبس منصبي وفعالي
منهم أبي حقاً ، فهم لي والدٌ   والأم من حامٍ ، فهم أخوالي

أو يقول حامياً ضعف نسبه بحد الحسام :

اني امرؤ من خير عبس منصباً   شطري، واحمي سائري بالمنصل

أجل لقد حمى عنترة محتده بحد سيفه ، وحمى بني عبس فحق له التفاخر ، وحق له ان يرتفع الى مستوى الاحرار . وكم يثلج صدره تنشق الهواء الطلق بملء الرئتين .

ولقد شفى نفسي وابرأ سقمها
قيل الفوارس : ويك عنتر ، أقدم

ومهما يكن ، فالعقدة النفسية رافقت الشاعر حياته ، فقد ظلت تلك الحياة ميدان صراع بين الحرية والعبودية بين عنترة بن شداد وبين عنترة بن زبيبة .

الشاعر الملحمي

عناصر شخصيته :

اختلطت الحقائق بالخرافات في شخصية عنترة التـاريخية ، فبات من العسير فصل الثابت عن الموضوع . على أن المحقق انه كان على جـانب كبير من القوة والشجاعـة والحكمة في الحروب والمزايا الخلقية الحميدة .

روي عن عمرو بن مَعْدِيكرِب ، وكان معاصراً له ، قوله فيه : « وكان قليل الكبْوَة ، شديد الجلب » . وقال أحدهم : كان فارسنا عنترة ، فكنا نحمل اذا حمل ، ونحجم اذا أحجم » . وقال الهيثم بن عدي : « قيـل لعنترة : أنت أشجـع العرب وأشدها ؟ قال : لا . قيل : فبماذا شاع لك هذا في الناس ؟ قال كنت أقـدم اذا رأيت الإقـدام عزمـاً ، وأحجم اذا رأيت الاحجام حزما ، ولا أدخل موضعاً الا ارى لي منـه مخرجـاً . وكنت اعتمد الضعيف الجبان ، فأضربه الضربة الهائلة ، يطير لها قلب الشجاع ، فأثنيّ عليه فأقتله » .

أما من الناحية الشعرية ، فالثابت له قليل، فلكثرة تداول

ديوانه واعجاب الناس به ، نحلوه شعرا كثيراً . ومعظم أقواله محصورة في الغزل والحماسة وله في المدح والرثاء بعض جولات . ومثل ذلك في الهجـاء الذي قذف بـه معـيّريه كعُمارة بن زياد العبسي وقيس بن زهير أحد أسياد بني عبس ، وسواهما .

ومن العسير فصـل غزل عنترة عن حماسته لانـه من قبيـل الحماسة ايضاً ، فعبلة رافقت شاعرها في مواقعه فناب عن طيب محتده حدُّ حسامه . إنه الغَزِلُ الفارس ، المـازج ألفاظ الحب بألفاظ الحرب ، ينقل الى حبيبته الأخبار عن حسن بلائه فيها ، ويصوّر لهـا ذاته أكرم من أي حرّ . وفي غزل عنترة عـامة ومعلقته خاصة أوصاف ملحمية للمعارك التي خاضها، فهو بذلك سجل ما أغفله الرواة واتخذت القصة منه نقطة انطلاق . يقول في المعلقة :

ولقد ذكرتك والرماحُ نواهلٌ
مني ، وبيضُ الهند تقطر من دمي
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها
لمعت كبارق ثغرك المتبسمِ

أو يقول في سواها :

يا عبلَ كم من غمرةٍ باشرتها
بالنفس ، ما كادت لعمرك تنجلي

ولكثرة رغبة الشاعر في إظهار بطشه لعبلة – رغبة منه في تغطية مظاهر الضعـة التي رافقته – كان الغزل الصراح نادراً

عنده ، منـه شيء في المعلقة ومنـه اشياء في مقطعات متفرقة ، مثل ذلك قوله :

رفعوا القباب على وجوهٍ أشرقت
فيها ، فغيبت السُّهى في الفرقد
واستوكفوا مـاءَ العيون بأعين
مكحولةٍ بالسحر لا بالإثمـدِ
يطلعن بين سوالفٍ ومعاطفٍ
وقلائـدٍ من لؤلؤٍ وزبرجدِ

ولعنترة غزل في غير عبلة – وإن قلّ – . على أن أفضل ما له في هـذا الباب مـا قاله فيها لانه عصارة الوجد الممضّ ، والحرمان المتواصل ، والعراك الدائم بين الحب والعبودية . من مثل ذلك شعر جميل قاله في سميّة–وقد شفعت له عندما ضربه شداد – كان داعية الى اتهام الشاعر بحب زوجة ابيه، وشعر في امرأة ثانية اسمها رقاش ، لعلها زوجته – ان كان أمر زواجه موضوع جدل – .

على ان عنترة لا يريد من النساء سوى عبلة ، وقد شقي بحبه كما شقي بعيشه ، فحفـل غزله العفيف بالشكوى والألم ، فكان صدى لنضاله المزدوج في سبيل الحب والحرية ، ولما ولد فيه هذا النضال من شجاعة واباء وحماسة . بيد ان ذكرى مواقعه طغت على تأريخ حياته، فشغل الناس بمأساة عبوديته، والجهاد في سبيل التحرر ، اكثر ممـا شغلهم بمأساة حبه التي ضج بهـا شعره . فكم

تنكر مالـك لابن أخيه ونأى بابنته هربـاً من بطشه ، فيلقى العاشق من جراء ذلك اليأس والحرمان . ونراه يستعين بشق الطرق للوصول اليها واستنقاذها. ها هو يبعث جاريته لاستطلاع اخبارها ، علها تجد غفلة من الاعداء ، فيقول في المعلقة :

فبعثت جاريتي ،وقلت لها: اذهبي
وتجسّسي أخبارهـــا لي واعلمي
قالت : رأيت من الأعادي غِرة
والشاة ممكنة ، لمن هو مرتم
يا شاة ما قنص لمن حَلّت له
حرمت علي ، وليتهـا لم تحرم

أو يقول متوجعاً لمرآها في أرض الاعداء بعد ان حملها أهلها اليهم:

حلت بأرض الزائرين فأصبحت
عسراً علي طلابك ، ابنة مخرم
علّقتها عرضاً ، وأقتل قومهـا
زعماً ، لعمر أبيك ، ليس بمزعم.

ولسنا ندري اذا كان العم قـد زوج عنترة في النهاية ابنته ، بعد ان انقذهما من الأسر ،ام ان مواعيده ظلت عرقوبية ، مات الشاعر دون التنعم بتحقيقهـا . وفي القصة حديث عن اسر عبلة ووالدها ، انتهى بأن خلصها عنترة من يـدي مسحل ، فارس بني كندة ، وكان يأمـل دفع مهرها والتزوج منهـا . وتختلف القصة والتأريخ حول تزويج مالك ابنته للشاعر بعد انقاذهمـا ،

فالقصة تثبته ، والتأريخ لا ينفيه . على ان المعلقة توضح ان فارس بني عبس حرم من ابنة عمه ، لكونها من نتاجه المتأخر . وهذا ما نراه في غير المعلقة ، حيث يذكر ان لعبلة بعلاً فيقول :

فلرب أبلج مثل بعلك بادنٍ ضخم ، على ظهر الجواد مهبَّل
غادرته متعفراً أوصاله والقوم بين مجرح ومجـــدّل

فهل نعجب بعد هذا كله ان يستبد عنصر الالم بشعر عنترة عامة ، وبغزله خاصـــة ، وان خفيت ملامحه أحياناً ؟ هذا الألم الذي كان يلهبه اجتماع النقيضين في الشاعر : عبودية من جهة ، تردّد الوالد كثيراً في تحريرها حرصاً على التقاليد ، فترك صاحبها يتعثر في طبقة الرعيان ، يحلب ويصر ، ويلاقي الازدراء والاحتقار ، ونفس أبية شاعرة من جهة ثانية ، تأبى الضيم ، وتتحلى بالشمم والجرأة ، تأخذ من الشجاعة والشعر والاباء ، عدة لمحاربة القدر ، فتقف الحواجز الصماء في وجههـا . لكن العبد المنبوذ أدرك ان بني عبس بحاجة اليه ، فان أنكروه في السلم فسيعرفونه في الحرب. لذلك وجد الفرصة سانحة لطلب الاعتراف به وللالحـاح فيه ، فكان كلما احتاج بنو قومه اليه ، والغزوات لا تهدأ ، ذكـّر والده بأمنيته ، فلا يلقى سوى المطل والتسويف ، حتى كانت الحادثة التي رواها الكلبي ، وذكرناها في موجز حياة الشاعر « فادعاه أبوه وألحقه بنسبه . » ولغير الكلبي ما يشبه روايته عن اعتراف شداد بابنه ، من أن عبساً اغـاروا على طيء ، ثم رفضوا أن يقسطوا عنترة نصيبه من الغنائم لأنه عبد ، فاعتزلهم . وكان ان

ردّت للعبسيين الكرة فدعاه ابوه الى نجدتهم ، فقال له عنترة :

« العبد لا يحسن الكرّ » ، فقـال له أبوه : « العبد غيرك » ، فكر ودحر الاعداء .

وللسيوطي استنتاج لا يخلو من الصحة، مفاده، ان الاعتراف بعنترة لم يكن نتيجة حادثة دون أخرى ، انما كان نتيجة حاجة العبسيين الدائمة اليه . والظاهر ان الشاعر سعى لتحرير اخوته ايضاً ، ولعله افلح مع واحد منهم يدعى حنبل .

على ان العبد المحرر ظل عبداً بلونه وماضي حياته ، وظل جهاده في سبيل محو اللون والماضي متواصـل النبرات في شعره ومآتيه . فالكلمة الواحدة ، يفوه بها والد متزمت ، غير كافية لازالة مـا لاقى الشاعر ويلاقي من أذى قومه . فعمارة بن زياد العبسي يتحرش به بعد تحرره، حتى اذا رآه في سلاحه تغافل عنه .

وقيس بن زهير ، وقد اندحر بعد ان قاد العبسيين الى غزو بني تميم ، وبعد ان ارتـد بنو تميم عليهم ، فانقذهم عنترة من بين مخالبهم ، يقول مرغماً : « والله ما حمى الناس الا ابن السوداء . »

والى ذلك يشير الشاعر بقوله مفتخراً على من يدّعون الانساب الكريمة معرّضاً بهم :

واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت

ألفيت خيراً من معمّ مخول

إذ لا أبادر في المضيق فوارسي

اولا أوكّلُ بالرعيل الأولِ .

لا شك ان اشهر مـا لعنترة حماسته ، وهي تدور على أعمال بطولية فريدة دافع بها عن نفسه وعن بني قومه . ولقد زخرت المعلقة ، الى جانب مقطعـات متفرقة ، بالنفس الملحمي ، حيث تتمثل الشجاعة بجميع مظاهرها وأكرم صورها ، فيبدو البطش وتكاثر القتلى . فمن الاقوال الثابتة له في هذا الميدان قوله :

أقمنا بالذوابل سوق حربٍ وصيرنا النفوس لهـا متاعـاً
حصاني كان دلّال المنايا فخاض غمارها وشرى وباعا
وسيفي كان في الهيجـا طبيباً يداوي رأس من يشكو الصداعا
أنا العبد الذي خبّرت عنه وقد عاينتني ، فدع السماعا .
ملأت الأرض خوفاً من حسامي وخصمي لم يجد فيها اتساعا .
اذا الأبطال فرّت خوف بأسي ترى الأقطار باعاً او ذراعا .

ومن اقواله في الدفاع عن النسب :

لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسب

يوم النزال ، اذا ما فاتني النسبُ

وفيما يلي افتخار بقومه وبأخلاقه ، ودفاع عن لونه ، وتوعد للنعمان . غير خاف ما في الابيات من لمحات ملحمية وخواطر حكمية ، الى جمال في الالفاظ والمعاني وروعة في التصوير . يقول :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب

ولا ينال العلى من طبعه الغضبُ

لله درُّ بني عبسٍ لقــد ولدوا
من الأكارم ما قد تنسل العربُ
قد كنت فيما مضى أرعى جمالهم
واليوم أحمي حماهم كلما نكبوا
لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسبٌ
يوم النزال ، اذا ما فاتني النسبُ .
ان كنت تعلم ، يانعمان ، أن يدي
قصيرة عنك ، فالأيام تنقلبُ
ان الأفاعي ، وان لانت ملامسها
عند التقلب ، في أنيابها العطبُ
والخيل تشهد لي أني أكفكفها
والطعن مثل شرار النار يلتهبُ
اذا التقيت الاعادي يوم معركة
تركت جمعهم المغرور ينتهبُ
لي النفوس ، وللطير اللحوم ، وللوحش العظام، وللخيّالة السلب

والنفس الملحمي ظاهر بوضوح فيحماسة عنترة عامة ومعلقته خاصة، وان فاتت ابياته عناصر الملحمة الأصيلة. من ذلك قوله:

أنا في الحرب العوانِ غير مجهول المكانِ
أين ما نادى المنادي في دجى النقع يراني .
وحسامي مع قناتي لفعالي شاهدانِ
انني أطن خصمي وهو يقظان الجنانِ .

انني ليث عبوس ليس لي في الخلق ثان .
خلق الرمح لكفّي والحسام الهندواني .
فاذا ما الارض صارت وردة مثل الدهان
ورأيت الدم يجري لونه أحمر قانِ
فاسقياني واسمعاني نغمة كي تطرباني
أطرب الأصوات عندي رنة السيف اليماني
وصليل الرمح جهراً في الوغى يوم الطعان.

المعلقة

أشهر ما لعنترة في عبلة ميميته الحسناء البالغة ثمانين بيتاً ، وهي السادسة بين المعلقات ، وقد سمتها العرب الذهبية . إنها لا تقل عن معلقة عمر وبن كلثوم والحارث بن حلزة حماسة واتّقاد عاطفة وحسن صنيع .

مما يروى عن سبب نظمها أن عنترة كان يوماً في مجلس ، بعد ان رسخ كعبه في حلبتي الشعر والفروسية ، وحرّره أبوه ، فتعرض له رجل بالشتيمة ، وعيّره بعدم الشاعرية وبسواد لونه ولون أمه واخوانه ، فسبه عنترة بدوره وتعالى عليه قائلا : « والله إن الناس ليترافدون للطعمة فما حضرت أنت ولا أبوك ولا اخوك ولاجدك مرافد الناس قط ، وان الناس ليدعون في الغارات ، فيعرفون بلسويهم ، فما رأيتك في خيل مغيرة، في اوائل الناس قط، وان اللبس ليكون بيلنا، فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك خطة الفصل ، وانما أنت فقع بقرقر . واني لأحتضر البأس ، وأوفي المغنم وأعف عند المسألة واجود بما ملكت يدي وافصل الخطة الصماء ، وأما الشعر فستعلم » .

ثم كانت المعلقة التي استهلها بقوله :

هل غادر الشعراء من متردم   أم هل عرفت الدار بعد توهم

ولقد استند بعض الرواة الى شتيمة هذا الرجل لينفوا قول الشعر عن عنترة قبـل انشاء المعلقة . وهذا الزعم لا يرتكز على منطق، اذ ان الشاعر لم ينشىء معلقته الا بعد ان تقدم في السن. افمن المعقول ، ان يذهب شبابه ، بما فيه من عوامل مثيرة ، ولا يفجر الشاعرية في نفسه الحساسة المتألمة ؟ .

هذا والميمية قسمان : قسم اشتمل على الغزل وما تضمنه من وقوف بالاطلال ووصف للحبيبة ولوعة الفراق وللناقة التي تبلغه مراده ، (وبلغ ٣٤ بيتاً) . وقسم اشتمل على الفخر بمـا فيه من اعتداد بالشاعرية والفروسية ، (وبلغ ٤٥ بيتاً) . ويصح ان يكون البيت الثاني مطلع المعلقة ايضاً ، وهو الذي يقول فيه :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي   وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

يستهل عنترة مطولته اذن بوصف الاطلال وما يلاقي من لواعج لبعد محبوبته وبتصوير الناقة تصويراً دقيقاً فيقول : ان الاقدمين أتوا على جميع معاني الشعر ، فما تركوا طللاً الا وقفوا عليه ، فلذلك لم يتعرف الى رسم عبلة بـل توهمه توهماً . ثم يسأل تلك الدار، وقد أقفرت بعد أم الهيثم ان تتكلم، فقد وقف فيها ناقته لأمر يود ان يقضيه . لكن عبلة بعيدة ، حلت بارض الأعـداء فعسر طلابها . وفي ذلك يقول الشاعر بعـد البيتين المذكورين والضمير عائد الى الدار :

فوقفت فيها ناقتي ، وكأنها فدن ، لأقضي حاجة المتلوّم
وتحلّ عبلة بالجواء ، وأهلنا بالحزن ، فالصّمان ، فالمتثلم
حيّيت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
حلت بأرض الزائرين ، فاصبحت
عسراً علي طلابك ابنة مَخرَم
ولقد نزلت ، فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرّم
كيف المزار ، وقد تربع أهلها بعنيزتين ، وأهلنا بالغيلم .

أما حديث عنترة عن رحيل عبلة فهو بمثابة ذكرى مرت بخياله ، اذ يرتاع لحمولة أهلها في ركب ضم اثنتين واربعين ناقة . وبعد ان يصف رحيل الركب ببراعة لا تخلو من الخشونة والدقة ، يخاطب المحبوبة بقوله : ان القناع لن يحجبها عنه فهو عليم بأخذ الفرسان المقنعين ، ثم يحدّثها عن طيب اخلاقه اذا لم يُظلم ، وعن شربه الخمر ، وعن شجاعته وبطولته ، فيقول :

ان كنت أزمعت الفراق فانما زمّت ركابكم بليل مظلم
ما راعني الا حمولة أهلها وسط الديار تسفّ حب الخمخم
فيها اثنتان واربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم
اذ تستبيك بذي غروب واضح عذبٌ مقبّله لذيذ المطعم
وكأنما نظرت بعيني شادن رشأ من الغزلان ليس بتوأم
تمسي وتصبح فوق ظهر حشيّة وأبيت فوق سراة ادهم مُلجَم
وحشيّتي سرج على عبل الشوى نهدٍ مراكله بليل المحزم
هل تبلغنّي دارها شذنيّة لعنت بمحروم الشراب مصرّم ،
خطّارة غبّ السرى ، زيّافة تطس الاكام بذات خف ميثم

ان تغدفي دوني القناع فانني طبٌ بأخذ الفارس المستلئم
أثني علي بما علمت فإنني سهل مخالقتي اذا لم أظلم
فاذا ظلمت ، فان ظلمي باسل مر مذاقته كطعم العلقم .
ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر ، بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ذات اسرة قرنت بأزهر في الشمال مفدّم
فاذا شربت ، فإنني مستهلك مالي ، وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما اقصّر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرّمي .

في هذه الابيات نفس ملحمي عال ، فوصفه للركب يزخر بالحركة والضجيج والصور الجميلة والانسياق القصصي العابر . واذا خاطب محبوبته فانما يريد منها ان تثني عليه بما عرفت من محامده ومناقبه ،فهو سهل المخالقة اذا سلم حقه ،صعب المراس اذا امتُهن.

ثم يتحدث عنترة عن بطولته ، فرب زوج امرأة حسناء تركته مجدّلاً ، فهلّا سألت الخيل يا ابنة مالك عني ، وسألت ساحات الوغى والفرسان ، يوم السرج لي والسابح النهد ، اجرّد مرة للطعان ومرة اعود به الى صفوف قومي المسلّحين ، يخبرك من شهد المواقع انني شديد البأس عالي الهمم ، أغشى الحروب وأعفّ عن الغنائم :

وخليل غانية تركت مجدّلاً تمكو فريصته كشدق الأعلم
سبقت يداي له بعاجل طعنة ورشاش نافذة كلون العندم
هلّا سألت الخيل ، يا ابنة مالك
ان كنت جاهلة بما لم تعلمي ؟

إذ لا أزال على رحالة سابح نهد ، تعاوره الكماة مكلّم
طوراً يجرّد للطعان ، وتارة يأوي الى حصد القسيّ عرمرم
يخبرك من شهد الوقيعة انني أغشى الوغى ،وأعفّ عند المغنم

ورب مدجج تجنبته الفرسان لشجاعته وعظم مقامه جادت له كفي باحدى طعناتها العاجلة بالرمح الصلب المقوم وتركته طعمة للسباع :

ومدّجج كره الكماة نزاله لا ممعن هرباً ، ولا مستسلم
جادت يداي له بعاجل طعنة بمثقّف صدق الكعوب مقوّم
فشككت بالرمح الأصمّ ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرّم
فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم .

ورب درع واسعة على صدر بطل ،تشدّ الابصار اليه في ساح القتال ، شققتها بالسيف ، فلما رآني ، دب الرعب فيه وخشي الهول ، فألقمته الرمح ، ورميت به الأرض ، ثم سددت اليه صافي الحديد شطيباً :

لما رآني قد نزلت أريده أبدى نواجذه لغير تبسّم
فطعنته بالرمح ، ثم علوته بمهند صافي الحديدة مِخذم

وبعد أن يذكر عنترة حبيبته ، والسيوف تقطر من دمه ، وبعد أن يبعث جاريته لاستطلاع اخبارها في ديار الاعداء ،ملمحاً الى عدم اعتراف والده بأفعاله في الحرب ، «والكفر مخبثة لنفس المنعم » ، يشير الى وصاة عمه له في حومة الردي حيث منع ازدحام الفرسان حصانه من التقدم ، وهم يتقون به الأسنة .

ولقد حفظت وصاة عمي بالضحى
إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم
في حومة الموت التي لا يشتكي
غمراتهـــا الابطال غيرَ تغمغم
إذ يتـّقون بي الأسنة ، لم أخم عنها ، ولكني تضايق مقدمي

ولما سمع عنترة نداءات القبائل ، والموت يخيم تحت الألوية ، تيقن ان الطيور ستنفـّـر ، في الروع ، عن فراخها . وكأني به ، وهو فيهذا السرد الملحميالعالي يأبى الا ان يكون ختام معلقته قرع قنا واحتـــدام أسنة ، فينطلق انطلاقته الأخيرة ، الحمراء الملامس ، محققاً بنشوة الصراع التجسيد الرائع ، فيقول :

لما رأيت القوم اقبــل جمعهم يتذامرون، كررت غير مذمم
يدعون : عنتر ! والرماح كأنها
أشطــان بئر في لبان الأدهم
مازلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه ، حتى تسربــل بالدم
فازورّ من وقع القنا بلبانــه وشكا إليّ بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى
ولكان لو علم الكلام مكلمي .
والخيل تقتحم الخبار عوابساً ما بين شيظمة وأجرد شيظم
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمهـا
قيل الفوارس : ويك عنتر اقدم

لا شك أن ما في هذه المعلقة من عناصر ملحمية ، هو الذي

اوجد مع الزمن « سيرة عنترة » ، وقــد تجلت فيهــا شخصية الشاعر بما فيها من نبل وعفة نفس واقدام وشجاعة، هذا الشاعر الذي سعى ، وهو العبــد المنبوذ ، في سبيل السيادة ، فعاش ، معظم عمره ، في جو ملحمي صرف ، صوره في شعره أصــدق تصوير ، فكانت حياته ملحمة متصلة الحلقات .

وكان رفيقه الأمين ، حصانه الأجرد الأدهم ، هذا الذي اعطاه عنترة حياة من حياته ، وإقداماً من اقدامه ، حتى اذا جلله الغبار ، واثخنته الجراح ، وازورّ من وقع القنا بصدره ، التفت الى فارسه بروعة وجلال ، وشكا اليه بعبرة وتحمحم .

وكانت ساحات القتال ، بما يكتنفهــا من مشاهد مروعة ، يشق فارس بني عبس عجاجها بجنون البسالة ، ومن حوله انصباب الدماء ، واشتباك الرماح ، والتحام السيوف ، وتحطم الدروع .

لمحات ملحمية تنحصر ضمن نطاق الغنائية العربية ، فلا تبلغ البناء القصصي المتكامل ، ولا التطاول القومي الشامل . انها نشيد من اناشيد العصبية ، ظهرت فيها مأساة الشاعر الغرامية والانسانية معاً ، ولكن لم يقدر لهــا أن تتلاحق في نفس شعري متواصل ليكون البناء الملحمي الصحيح .

ويبدو عنترة في المعلقة شخصية فذة ، كوّنها النبل وصهرتها الشجاعة . يتطلب العفة والاباء والشرف والحرية . شغلته السيادة وأسكره الحب . ولقد توصل بشاعريته وبطولته ومزاياه الخلقية الى تسنم الذروة التي عاش في سبيل بلوغها ، فساد القوم واصبح

حصنهم المنيع،يتوقف عليه مصيرهم، وترد اليه الافعال الجيدة، واستطاع ان ينتزع اعجاب عبلة ومحبتها – وأن لم يحظ بها – هذا الاعجاب وهذا الحب اللذان ما خاض الغمرات الا لأجلها .

وما اكثر الخصوم الذين واجههم في كفاحه ، منهم الأباعد، ومنهم ذوو القربى ، فكان عليه ان يقاتل على جبهتين .

في كل ذلك صور الشاعر الملحمة العربية المصغرة ، فكانت معلقته نشيد النفس المشرقية في عزتها وكرامتها ، في بأسها وسماحها ، في فضيلتها وانسانيتها .

ولقد نعجب أخيراً لعبد جاهلي ، أسود اللون ، خشن العيش، ضخم المنظر، كيف يمهر الأدب العربي بهذه الرائعة، من حيث العذوبة والرقة والسهولة ، على غير ضعف واسفاف . ان ما فيها احياناًمن الفاظ غريبة ،هي من متداول العصر الذي يتضاءل امام هذا السحر المتلبس شفاف الغمام الشفاف ، فكأني بالشاعر تجاوز المظاهر القاسية ليمثل بشعره خلقه وحبه، فطبعه بما فيها من صفاء ونقاء .

وكان بفخره قريباً الى النفوس لما تضمنه هذا الفخر من صدق وعذوبة وحرقة . أجل ان في شعر عنترة سهولة وسلاسة قل نظيرهما في نتاج الجاهليين، فهو مرآة نفسه وصدى أحداث حياته ، فيه رجع لجوده وكرمه وعفته وبأسه وحلمه وأيامه ، وفيه انعكاس لعبوديته وحبه ونضاله وألمه .

من هنا كانت منزلته العالية في أعين النقاد الأقدمين، وتنازعه

المقام الرفيع بين الشعراء . روى الأصمعي عن ابن ابي طرفة قوله : « كفاك من الشعراء أربعة ، زهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب، والاعشى اذا طرب، وعنترة اذا غضب ». وقال ابن سلّام في وصف معلقته انها «قصيدة نادرة » . وقال ابن رشيق: وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه اليه متقدم ، ولا نازعه إياه متأخر . » فلا غرو ان يكون عنترة سيد السيف والقلم .

قصة عنترة

قصة عنترة ملحمة قائمة بذاتها ، يمتزج الواقع فيهـا بالخيال ، وتكثر مواقـع البطولة في سبيـل الحب والكرامة ، وتزدحم المفاجآت المثيرة . وقد تناولت حياة الشاعر الفارس بما فيها من حب لعبلة ، وحروب في سبيل هذا الحب . فهو العبد لا يزوّج حرة،وهو الشاعر الذي شهّر ابنة عمه بشعره،فحال ذلك ايضاً، حسب العرف الجاهلي ، دون وصوله اليها .

وعنترة القصة غير عنترة التاريخ ، اذ ان فيها من الحوادث ما لا ينطبق على الحقيقة ،كزواجه من عبلة مثلاً وهي التي زوجت سواه . وليس في القصة وحـدة تأليفية ، فهي من نتـاج اقلام متعددة ، وحصيلة عصور مختلفة .

وقد يكون من الخير اثبات نموذج من نماذجها الأكثر اشتهاراً واثارة للعاطفة ، والأشد دلالة على منطوقها :

عنترة والاسد

« قال الراوي : وفي يوم من الأيام توغل عنتر في البر بالجمال والغنم وقصد بها الروابي والأكم الى ان حميت عليه الشمس وبعد

عن حي عبس . فقصد شجرة من الاشجار يستظل بهـا من حر النهار . وسرحت الاغنـام ترعى ، في ذلك المرعى . واذا هو بأسد كبير من بطن الوادي ظهر يمشي ويتبختر، أفطس المنخر، يطير من عينيه الشرر يقلب الوادي اذا همر، بانياب أحد من النوائب، ومخالب أمر من المصائب . شدوق شدقم، عبوس أدغم . تسمع الرعد اذا همهم ودمـدم . ويلمع البرق من عينيه اذا أظلم الليل وأعتم ، شديد المراس ، عريض الكتف ، كبير الراس .

فلما ظهر من بطن الوادي وشمّت الخيـل رائحته فرت من هيبته ، وكذلك النوق والجمـال ، شردت في اليمين والشمال . فلما نظر عنتر ، ذلك الأمر المنكر، نزل الى الوادي حتى يبصر، والسيف في يده مشهر، واذا هو بالاسد رابض باسط يديه، وهو يلعب بذنبه ويضرب به جنبيه، والشر يطير من عينيه، فعندئذ زعق عليه عنتر زعقة دوت بها الجبال ، وقال : مرحباً بك يا أبا الأشبال ، يا كلب الفلا ، يا نحس وحوش البيدا ، فلقـد أبديت بأسك وصولتـك ، وافتخرت بهمتك وهمهمتك . ولا شك في أنك ملك السباع، وسلطانهم المطاع، ولكن عد بالخيبة والاذلال، فما أنا كمن لاقيته من الرجال. أنا مهلك الابطال، وميتم الاطفال. فأنا لا ارضى ان اقتلك بسنان ولا بحسام ، ولا بـد أن اسقيك كأس الحمام . ثم انه القى السيف من يده وحمل على السبع وهو ينشد :

يا أيها السبع الهجوم على الردى ... ها قد بقيت معفراً منهوبا
أتريد أموالي تكون مباحة ... ها قد تركتك بالدمـا مخضوبا

شرّدت أغنامي ، ولم تك عالماً أني هزبر لا ازال مهوبــاً
هذي فعالي فيك يا كلب الفلا هلا شهدت مواقعاً وحروبا ؟
لو كنت تعلم ان هذا تلتقي مني ، وتصبح للحـمام شروبا
لم تأت نحوي تبتغي صيداً ، فقد وافاك حتفك عاجلاً مصبوبا

ثم هجم على الاسد ، ووقع عليه ، كوقوع البرد ، ونفخ عليه مثل الثعبان الأسود ، ووثب عليـه حتى ساواه في وثبته وصرخ عليه صرخة أعظم من صرخته ، وقبض عليه بكفيه ، واتكأ عليه فشق حنكه الى حد كتفيه ، وصاح صيحة أزعج بها الوادي وجانبيه وصبر على الأسد حتى قضى عليه .

الالياذة

وأبيات عنترة الملحمية

فيما يلي ننتقي بعض أبيات لعنترة ، من التي أوردهـا سليمان البستاني في شروح ترجمة الياذة هومير، للتشابه الذي وجده بينها وبين أبيات مماثلة لها ، في ملحمة الاغريق الكبرى :

* * *

بعد ان ذكر هومير كيـد آخيل أتى على وصف وبال ذلك الكيد على الجيش فبدأ بالشر الأهون وهو هلاك ابطاله. وانتهى بالشر الأعظم وهو وقوع الطير والكلاب بجثث القتلى . وأشعار العرب مشحونة بمثـل هذا المعنى ، أي عبث الطير والوحوش بجثث القتلى ، نجتزىء منها بذكر شيء من شعر عنترة قال :

تقلبه وحش الفـلا وتنوشه

من الجو أسراب النسور القشاعم .

وقال :

تحوم عليه عقبان المنايا وتحجل حوله غربان بينِ .

وقال :

وبالسيف قد خلفت في الفقر منهم
عظاماً ولحماً للنسور الكواسر

وقال

كم فارس غادرت يأكل لحمه
ضاري الذئاب وكاسرات الانسر .

ولكن العرب لم يروا رأي اليونان ، فما افتراس الكواسر شلو القتيل غضاضة عليه ، ولا دون ذلك عقبة تقف في سبيله الى الجنة. بل ربما كانت تلك أمنية البطل الحراب . قال العبسي:

فيا رب لا تجعل حياتي مذمة ولا موتي بين النساء النوائح
ولكن قتيلاً يدرج الطير حوله وتشرب عقبان الفلا من جوانحي.

* * *

الظاهر ان الاغريق كانوا يفاخرون باحراز السبايا والاسلاب لأنها تدل على بسالة محرزيها ، ولا يقابلها عند العرب الا المفاخرة بالاسرى والقلائع اي الخيل التي يرمى عنها فارسها في ساحة القتال وربما فخروا ايضاً بالسبي . أما المكاسب فقلما كان العرب يحرصون على حفظها ، بل ربما كانوا يجودون بها كلها ثم افتخروا انهم لم يبقوا على شيء منها وحسبوا ان الاثرة بها وصمة عار ذميم.

قال هومير على لسان أغاممنون :

فيبدو لدى الاغريق أني لم أكن
بلا سَلبٍ كي لا أهان وأصغرا

وقال عنترة :

انّا اذا حمس الوغى نروي القنا ونعف عند تقاسم الأنفال

وقال :

يا عبل لا تخشي عليّ من العدى يوماً اذا اجتمعت عليّ جموعها
فيكون للأسد الضواري لحمها ولمن صحبنا خيلها ودروعها

* * *

لم نر شاعراً اكثر من هومير مراعاة لحق كل ذي حق في كلامه ، فانه وان كان المقام مقام مهاجاة بين آخيل وأغاممنون فان كلا منهما يلقب الآخر بما يظنه فيه من المحمدة والمذمة .

قال عنترة :

اذا جحد الجميل بنو قراد وجازى بالقبيح بنو زيادِ
فهم سادات عبس أين حلوا كما زعموا ، وفرسان البلاد.

* * *

كان آخيل معتزاً ببأسه فتهدد أغاممنون بالقفول الى أوطانه موقتاً انه اذا غادر ساحة القتال يندحر اليونان فيذل أغاممنون فيشفي حزازة صدره منه . يقول :

وأشهد لست تلقى بعد خذلي كنوز المال في جرُف البحار

وما احسن قول عنترة في هذا المعنى :

سيذكرني قومي إذا الخيل أصبحت
تجول بهـا الفرسان بين المضارب

وأحسن منه قوله :

سيذكرني قومي اذا الخيل أقبلت
وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

وقوله :

ستذكرني المعامع كل وقت   على طول الحياة الى المات

* * *

شبه آخيل بالحصن ، والعرب تشبه بالحصن والمعقل للدلالة على علو الهمة بالذود والكفاح ، وعلى الحكمة وأصالة الرأي اللتين تقومان مقام الحصون . قال عنترة العبسي :

أنا الحصن المشيد لآل عبس   اذا ما شادت الأبطال حصناً

* * *

أنكر بعضهم على آخيل ، وهو البطل المغوار ، ان يطلب العزلة ويذرف الدمع بعد فوز خصمه . والبكاء سنة جرى عليها الشعراء . أفلا ترى بكاء بطل العرب عنترة العبسي القائل :

يا عبل لولا الخيال يطرقني   قضيت ليلي بالنوح والسهر

* * *

قال آخيل :

اماه تيتيس مذ اولدتني وقضى   زفس بقصر حياتي فليصن شيمي

تيتيس احدى بنات الماء من صغار الآلهة تزوجت فيلا فأولدها آخيل ، وموطنها مع أبيها نيرا وأخوانها في قعر البحر. في هذا البيت يختار البطل الاغريقي قصر الحياة مع المجد الاثيل غير طامع في طويل العمر ورغد العيش. ولا يخفى ما في هذا الاختيار

من العزة والاباء . وما احسن قول العبسي :

لا تسقني كأس الحياة بذلة   بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
كـأس الحياة بذلة كجهنم   وجهنم بالعز اطيب منزل .

* * *

يتحرّق آخيل للطعن والضرب بقوله :

يؤجج في احشائه نار عزلة
وو جد لضجّات الوغى والجحافل

تحرّق عنترة بقوله :

احنّ الى ضرب السيوف القواضب
وأصبو الى طعن الرمـاح اللواعب

وبقوله :

فتى يخوض غبار الحرب مبتسماً
وينثني وسنان الرمح مختضبُ

* * *

قال آخيل :

كما تكاثف طير البر من يجع   ومن اوز وزهو بالـمغ الجيـّد

وقال عنترة :

كأن السرايا بين قوّ وقارة   عصائب طير ينتحين لمشرب

* * *

قال آخيل :

عندما زفس بالصواعق يرمي   غاضباً قبر تيفس المقتول

تيفس هذا جبار أمه الأرض وأبوه طيطان، قيل كان له مئة رأس وهو من الجبابرة الذين اغتصبوا على زفس، ثم اوقع به زفس فيما بعد . وما احسن قول عنترة في معنى هذه الابيات الثلاثة :

وترى بها الرايات تخفق والقنا   وترى العجاج كمثل بحر مزبد
وبوارق البيض الرقاق لوامع   في عارض مثل الغمام المرعد
وحوافر الخيل العتاق على الصفا   مثل الصواعق في قفار الفدفد

* * *

جاء في النشيد الرابع على لسان ملك الاغريق قوله ،

ولسوف تحرز فلكنا ازواجهم   وبنيهم وديارهم تتردّم

قال عنترة :

يا بني عامر ستلقون برقاً   من حسامي يجري الدماء سجاما
وتصيح النساء من خيفة السبي ، وتبكي على الصغار اليتامى

* * *

قال ذيوميذ :

وفوق الصدور الطامحات تألقت   صوارمهم والسمر ايّ تألق

وقال عنترة :

تلمع فيها البيض من كل جانب   كلمع بروق في ظلام الغياهب

* * *

في النشيد الرابع من الالياذة مقاطع أعجب بها الكثيرون من ادباء الغرب ، منها هذه الابيات على لسان يوميذ :

بمجتمع القومين طافت بجدّة تمزق جمع الشمل كل ممزّق
ولما تدانوا والنفوس سواخط تحرّقت الأجناد اي تحرّق
طعان تلاقت في صدور تدجّجت وكر يواري يلمقا فوق يلمق
وزفرة مقتول ونعرة قاتل بسيل دماء بالأسنة مهرق

والضمير في طافت عائد الى الاعداء. واليلمق : الترس . وامثال هذه الابيات كثيرة في منظومات العرب الذين لم يعرفوا شيئاً من اقوال هوميروس . ولله در ابي الفوارس اذ يقول :

وكررت والأبطال بين تصادم وتهاجم وتحزّب وتشدّد
وفوارس الهيجاء بين ممانع ومدافع ومخادع ومعربد
والبيض تلمع والرماح عواسل والقوم بين مجدّل ومقيّد
وموسّد تحت التراب ، وغيره فوق التراب يئن غير موسّد

* * *

قال سرفيدون في النشيد الخامس :

وقد كست الأغريق ثوب عجاجة
فتحت الخطى وقع ومن فوق غيهب

قال عنترة :

ويطربني والخيل تعثر بالقنا حداة المنايا وارتهاج المواكبُ
وضرب وطعن تحت ظل عجاجة
كجنح الدجى من وقع ايدي السلاهب

* * *

قال سرفيدون :

للجبان المهزوم موت وعار   والهمام العزوم رفع الجبين

قال عنترة :

لعمرك ان المجد والفخر والعلى   ونيل الأماني وارتفاع المراتب
لمن يلتقي ابطالها وسراتها   بقلب صبور عند وقع المضارب
ويبني بحد السيف مجداً مشيداً   على فلك العلياء فوق الكواكب
ومن لا يروي رمحه من دم العدى
اذا اشتبكت سمر القنا بالقواضب
ويعطي القنا الخطي في الحرب حقه
ويبري بحد السيف عرض المناكب
يعيش كما عاش الذليل بغصة   وان مات لا يجري دموع النوادب

وكل ذلك يجمعه قوله في موضع آخر :

من لم يعش متعززاً بسنانه   سيموت موت النذل بين المعشر

* * *

قال صحب هكطور ، وكثيراً ما نرى الاغريق في ساحة القتال يعكفون على الأسلاب في ثوران المعمعة طمعاً بالمال والفخار ، لانها كانت الدليل القاطع على بأس صاحبها :

وكف يباري بالمجن نبالهم   مخافة ان يلهو فتدهما الجماهر

ولم يكن ذلك شأن العرب كما قدمنا ، وكما سنرى في النشيد الثالث عشر ، قال العبسي :

ونشرت رايات المذلة فوقهم   وقسمت سلبهم لكل غضنفر

* * *

قالت زوجة هكطور في النشيد السادس :

وأنلني ايهـــا الخطب البلا   قبلمـــا زوجي السبي تنيل

قال عنترة :

فالقتل لي من بعد عبلة راحة   والعيش بعد فراقها منكود
لهفي عليـــك اذا بقيت سبية   تدعين عنتر وهو عنك بعيـــد
يا عبل قـــد دنت المنية فاندبي   ان كان جفنك بالدموع يجود
يا عبل ان تبكي عليّ فقد بكى   صرف الزمان عليّ وهو حسود
يا عبل ان سفكوا دمي ففعائلي   في كل يوم ذكرهن جديـــد

* * *

قيل في هكطور :

لم يُقل بعدُ أبادته العـــدى   إنما نحن كما لو كان قيل

قال عنترة :

لقد ودعتني عبلة يوم بينهـــا   وداع يقين انني غير راجع

* * *

اذا اكثر هومير من تشبيه الفيالق بالبحار ، كما في قوله :

كيمّ عليه النسيم انتشر   فأرجف واربد يوهي النظر

فانما لديه لكل مقام مقـــال ، فلا تـكاد ترى تشبيها كالآخر بمجمل دقائقه في كل الالياذة . ومـــا اصدق تشبيهه هنا للجيش

الجالس صفوفاً تتألق أسلحته في ذلك الفضاء بالبحر ينتشر عليه النسيم، فلا هو بالبحر الهائج تعبث به الانواء ولا هو باليم الراكد لا اثر عليه لحركة الهواء . وما احسن ما قال العبسي في نقيضه :

وسارت رجال نحو أخرى عليهم   الحديد كما تمشي الجمال الروائح
اذا ما مشوا في السابحات حسبتهم
سيولاً وقد جاشت بهن الأباطح .

* * *

قال هومير :

ما اشتمل الفجر بثوب الجساد   من يمّه يبرز فوق العباد

وهو القائل :

كسا الفجر وجه الارض ثوباً مزعفراً
وزفس أبو الأهوال في ارفع الذرى

وقد اراد الشاعر بالجساد ، في البيت الاول ، الزعفران الاحمر دون الاصفر، وهو كثير في بادية العرب. ومثله قول عنترة:

وما راعني يوم الطعان دهاقة   الى مثل من بالزعفران يضرّج

* * *

قال هكطور يخاطب جياده :

ويا إيتن يا لمفس الكر كركم   به إيه هذا اليوم، قدرمت مخبرا

وكم من مثل لنا بشعراء الجاهلية يخاطبون خيلهم وتخاطبهم كقول عنترة :

فقلت لمهري والقنا يقرع القنا تنبه وكن مستيقظاً غير ناعس
فجاوبني مهري الكريم وقال لي
أنا من جياد الخيل كن انت فارسي

* * *

قال هومير :

نشأت بمعناه عزيزاً مسوّداً وإن كنت من نسل السبية مولدا

لقد نطق اغاممنون بما يجدر بكبار القواد ولم يغض من شأن طفقير بذكر نسبه على مسمعه لانه لم يكن يعيبهم ان يكونوا ابناء السبايا ، بل ربما كان في الأمر زيادة فخر ببأس آبائهم اذ لم يكن يسبي السبايا الا كل قرم عنيد. وهذا عنترة ابن شداد فارس العرب القائل عن نفسه :

انا العبد الذي خبرت عنه .

* * *

قال آخيل :

ما بأتريذ والأغارق جمعاً من حقوق الابطال بالحق يرعى

قال عنترة :

حلمت فما عرفتم حق حلمي ولا ذكرت عشيرتكم ودادي

ولعنترة كلام كثير بهذا المعنى كقوله :

ولاقيت العدى وحفظت قوماً أضاعوني ولم يرعوا جنـابي

وقوله :

بنيت لهم بالسيف مجداً مشيداً فلما تناهى مجدهم هدموا مجدي

* * *

قال آخيل :

حيث عشراً وبلدة ثم دمر ـ ت، ومنها قسراً سلبت النفائس

فهو هنا يردد ذكرى بطشه ترديد عنترة بقوله :

طرقت ديار كندة وهي تدوي دويّ الرعد من ركض الجياد
وبدّدت الفوارس في رباهـا بطعن مثل أفواه المزاد
وخثعم قد صبحناهـا صباحاً بكوراً قبل ما نادى المنادي
غدوا لما رأوا من حـد سيفي نذير الموت في الارواح حـاد
وعدنا بالنهـاب وبالسبايا وبالأسرى تكبل بالصفـاد

* * *

قال هومير :

فبطش الغلمان بالغلمان وفتك الفرسان بالفرسان

قال عنترة :

ودنت كباش من كباش تصطلي نار الكريهة أو تخوض لظاها
ودنا الشجاع من الشجاع وأشرقت
سمر الرمـاح على اختلاف قناها .

* * *

قال هومير :

تخضبت دمـــاً بنقع فائر   من دَور دولاب ووقع حافر

قال عنترة :

والخيل سود الوجوه كالحة   تخوض بحر الهـلاك والخطر

وله ايضاً :

وعاد بي فرسي يمشي فتعثره   جماجم نثرت بالبيض والأسل

ولشعر العرب تصرف كثير بمثل هذا المعنى كقول عنترة ايضاً :

حتى رأيت الخيل بعد سوادها   حمر الجلود خضبن من جرحاها
يعثرن في نقع النجيع جوافلاً   ويطأن من نار الوغى عظماها

* * *

قال هومير :

ومن كلا الجحفلين الرمي منطلق

على الرؤوس بغيث بالنبال طـما

كصيّب الثلج تنهال الغيوم به   والنؤ هب فتهمي تحت هبته .

قال عنترة :

يدعون عنتر والسيوف كأنها   لمع البوارق في السحاب المظلم
يدعون عنتر والسهام كأنها   طشّ الجراد على مشارع هوّم
يدعون عنتر والدروع كأنها   حدق الضفادع في غدير ديجم

* * *

قال هكطور يرمي فوليدا ماس بالجبن :

فلست بالقرم يأتي موقفاً حرجاً   حتى ولو جملة اجنادنا نكبوا

قال عنترة :

وأمـا القائلون قتيل حرب   فذلك مصرع البطل الجليد .

* * *

قال سرفيدون : فـلا يسوغ لنا الا التربص في صدر السرى حيث نلنا منتهى الشرف . هذا المعنى كثير الورود في حماسيات العرب وهو مكرر كثيراً في شعر عنترة كقوله :

وأكرّ فيهم في لهيب شعاعها   وأكون أول وافد بصلاها
وأكون اول ضارب بمهنّد   يفري الجماجم لا يريد سواها
وأكون اول فارس يغشى الوغى   فأقود أول فارس يغشاهـا

* * *

قال سرفيدون :

لو كان ذاعفت شر الحرب والحرَب
وما بغيتك في ذا المأقط اللجب
لكنما الموت منه لا مناص وقد   يأتي بأي سبيل كان أو سبب

وهذا من المعاني المطروقة كثيراً في الشعر كقول عنترة :

وعرفت ان منيتي ان تأتني   لا ينجني منها الفرار الأسرع .

* * *

قال فوسيذ :

وانني يوم الطعان أرى اذا التحم النقع صدرَ السرى

قال عنترة :

ما زلت القى صدور الخيل مندفقاً

بالطعن حتى يضج السرج واللبب

* * *

اذا «جاء هكطور بيننا الآن يصمي» فصوته يدوي كالرعد دوي عنترة اذ قال :

وصرخت فيهم صرخة عبسية كالرعد تدوي في قلوب العسكر.

* * *

قال أياس :

لا مناص لنا فإما المنايا لا وإما بالذود صون الخلايا

الخلايا : السفن . قال عنترة :

ولأجهدنّ على اللقاء لكي ارى ما أرتجيه أو يحين قضاءي

* * *

قال آخيل :

ومن كبد الصخر كنت وليداً لأن فؤادك كالصخر فعلا

تشبيه الفؤاد بالصخر والحديد وما اشبه كثير في كلام الشعراء كقول عنترة :

خلقت من الحديد اشد بأساً   فكيف اخاف من بيض وسمر

ومثله قوله :

خلقت من الجبـال اشد قلبـاً   وقد تفنى الجبال ولست أفنى.

* * *

قال هومير :

عسى بسلاحك ان أقبل بخالونـك   وافيتهم تصطلي
فينجو الاخـاء وطروادة تعز   وكربلنا تنجلي

ومثله قول عنترة :

ولو أرسلت رمحي مع جبان   لكان بهيبتي يلقى السباعـا

* * *

قال آياس :

كلبوة في الغـاب بالاشبال حلت   فبالكماة لا تبـالي
تقطّب الجفن على مقلتهـا   صائـلة تحمي حمـا فتيتهـا

قال عنترة :

ولي بأس مفتول الذراعين خادر
يدافع عن اشباله ويحامي

* * *

لقد مثل لنا هوميروس جيـاد آخيل تذرف العبرات أسى وحزناً على فطرقل وهي من الجياد الخالدة فلقد روى الرواة في كل الاعصر ان الخيل تبكي وتتحرّق على فرسانها . وممن استبكي

الخيل من شعراء العربية عنترة العبسي كما رأينا في معلقته .

* * *

قال هومير في آخيل :

وخاض العباب يبتّ الرقابا . ويقتل كل كمي اصابا

قال عنترة :

بحسام كلما جردته بيميني كيفما مال قطع

* * *

قال والد هكطور عندما علم بمقتل ولده :

فقلبي خافق حتى يكاد يطير فوق فمي

ومن هذا القبيل قول عنترة :

كأن فؤادي يوم قمت مودعاً عبيلة مني هارب يتفجع

* * *

قال هومير :

قاتلاً من بلاده فر يلجا لديار امرىء تعلّى جنابا

قال عنترة :

وافي لأحمي الجار في كل زلة وافرح بالضيف المقيم وأبهج

* * *

قال هومير :

ولكم باسل بجيش الاعادي كهرمَ الارض دونه في الجهاد

قال عنترة :

كم شجاع دنا اليّ ونادى يا لقومي انا الشجاع المهيب
ما دعاني الا مضى يدكم الأر — ض وقد شقّقت عليه الجيوب

* * *

معارضة

بين بعض ما جاء من قول بطـل العرب موافقـاً لقول بطل اليونان في هذا الموضع :

قال آخيل :

وليهلك الغيظ من بين الأنام فكم أغرى وأوغر منقاداً حكيمهم

وقال عنترة :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

قال آخيل :

وليس من شاغل ذا اليوم يشغلني الا ادخار على تسمو به الهمم

وقال عنترة :

دعني أجدّ الى العلياء في الطلب وأبلغ الغاية القصوى من الرتب

قال آخيل :

يعلمن ان اعتزالي طال فاغتنم — الاعداء بوني واني الآن بينهم

وقال عنترة :

سكتّ فغرّ اعدائي السكوت وظنّوني لأهلي قد نسيت

قال ذلك وهو في موقف موجدة واعتزال كموقف آخيل اذ

خرج عن قومه غضبان، فنزل على بني عامر واقام فيهم فأغارت هوزان وجشم على ديار عبس فارسلوا يستمدون عنترة ، فأبى وامتنع ، حتى اذا عظم الخطب على بني عبس خرجت اليه جماعة من نساء القبيلة وطلبن اليه ان ينهض معهن لمقاومة العـدو والا تشتت شمل العشيرة فاحتمس ونهض وانشد ابياتاً استهلها بالبيت السالف الذكر .

قال آخيل :

حتى اذا شاء زفس في بطانته — موتي فـان حياتي تلك دونهم
هرقل لم يغن عنه بأسه وولا — زفس فأودى وان اولوه ودّهم
اصابه كيد هيرا والقضاء اذاً — فلألق ميتاً اذا كانت كذا القسم

وقال عنترة :

اذا كان امر الله امراً يقدّر — فكيف يفرّ المرء منه ويحـذر
ومن ذا يرد الموت او يدفع القضا — وضربته محتومـة ليس تعبر

قال هومير :

من الجو حتى الحصى الراكده — تخطـاه في عدوة واحـده

وقال عنترة :

ولي فرس يحكي الرياح اذا جرى — لا بعد شأو من بعيـد مرام
يجيب اشارات الضمير حساسة — ويغنيك عن سوط له ولجـام

قال هوميروس :

وكسا أديم الارض تيار الدما — وعديد قتلاهم بلا تعـداد

وقال عنترة :

عناجيج تخب على رحاهـا   تثير النقع بالموت الزؤام
الى خيل مسوّمة عليها   حمـاة الروع في رهج القتـام
عليها كل جبار عنيد   الى شرب الدمـاء تراه ظامي
بأيديهـم مهنـدة وسمر   كأن ظباتهـا شعَل الضرام
فجاؤا عارضـاً برداً وجئنـا   حريقاً في غريق ذي اضطرام
وأسكت كل صوت غير ضرب   وعترسة ومرميّ ورام

قال هوميروس :

فجيش الاغـارق عينـاً بعين   شرى الخمر من ذينك السيدين
فبعض بصفر مدامـاً أنيـل   وبعضهم بجديـد صقيـل

وهذا دليل على ان النقود لم تعرف في ذلك العهـد . ولسنا نعلم زمن الشروع في التعامل بهـا ببلاد العرب ولكننا نعلم انهم تداولوها في الجاهلية . قال عنترة :

ولقد شربت مع الندامى بعدما   ركد الهواجر بالمشوف المعلم

اي بالدينار . وهم كانوا يتداولون حينئذ نقود الفرس والروم .

قال هومير :

وبصقيل عاملي ان تقتل   لآذس النفس تـدم والفخر لى

لله در ابي الفوارس القائل :

لي النفوس وللطيور اللحوم   وللوحش العظام وللخيالة السلب

زاد عنترة زيادة حسنة على هذا المعنى بقوله :

واجساد قوم يسكن الطير حولها
الى ان يرى وحش الفلاة فينفر

يقول سليمان البستاني :

وان من تصفح ديوان عنترة ليعجب من كثرة المشاكلة بين كلامه وكلام آخيل ، وقد اوردنا شيئاً من ذلك في مواضعه واضربنا عن ذكر الكثير خوف الاطالة .

ومما لا شك فيه ان مترجم الالياذة اثبت لعنترة من الابيات ما لم يثبته لسواه ، ففارس بني عبس يكاد يستأثر بقسم كبير من شواهد البستاني في شرحه .

مختارات

من

المعلقات الثلاث

عمر بن كلثوم

ادرك النعمان الثالث بن المنذر الرابع (٥٨٠ — ٦٠٢)
ومات على النصرانية

نموذج من شعر العرب الملحمي

ألا هبي بصحنـك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا[١]
مشعشعة كأن الحص فيهـا اذا ما الماء خالطها سخينا[٢]
تجوز بذي اللبانة عن هواه اذا مـا ذاقهـا حتى يلينا .[٣]

أبا هنـد فـلا تعجـل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينـا[٤]

---

١ — الصحن : القـدح الكبير . الاندرين : قريـة سورية جنوبي حلب .
اصبحينا : اسقينا صباحاً
٢ — مشعشعة : مرققة بالماء . الحص : نبت زهره احمر . سخيناً : حـال .
وهي عادة رومية ، فالروم يشربون الخمرة مع الماء الساخن .
٣ — اللبانة: الحاجة، اي ان الانسان اذا شربها لسيٰ احزانه وحاجته ولان .
٤ — انظرنا : أمهلنا

بأنا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد روينا[1]
وأيام لنا غرّ طوال عصينا الملك فيها أن ندينا[2]
متى ننقل الى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا[3]
ورثنا المجد قد علمت معدّ نطاعن دونه حتى يبينا

نطاعن ما تراخى الناس عنا ونضرب بالسيوف اذا غشينا[4]
بسمر من قنا الخطيّ لدن ذوابلَ ، او ببيض يعتلينا[5]
نشقّ بها رؤوس القوم شقاً ونخليها الرقاب فيختلينا[6]
كأن جماجم الأبطال منها وُسوق بالأماعز يرتمينا[7]
بشبّان يرون القتل مجداً وشيب في الحروب مجربينا .
ألا لا يعلم الأقوام أنا تضعضعنا وأنا قد ونينا[8]
ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا .
بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

---

١ – نورد : نسوق . نصدر : نرجع . ويكون الورد الى الماء والصدور عنه

٢ – الغر : صفة للخيل البارزة استعيرت هنا للمعارك ، ندين : نخدع

٣ – الرحى : حجر الطاحون ، يريد ان قوة جيشهم تطحن الاعداء اذ المراد من حجر الطاحون هنا الحرب .

٤ – نطاعن : نضرب بالرماح . تراخى : ابتعد ، غشينا : أتينا .

٥ – السمر : صفة للرماح. لدن: لينة. ذوابل: رماح لم تجف بعد . الخطي : نسبة الى الخط وهو مكان اشتهر بصنع الرماح ، البيض : صفة للسيوف

٦ – نخليها الرقاب : نجعل لها الرقاب كالخلا . وهو الحشيش الرطب .

٧ – الوسوق : الحملان . الأماعز : الاراضي الصلبة .

٨ – ونينا : ضعفنا

بأي مشيئة عمرو بن هند نكون لقيلكم فيها قطينا[1]
تهددنا وتوعدنا ؟ رويداً متى كنا لأمك مقتوينا[2]
فإن قناتنا يا عمرو أعيت على الاعداء قبلك ان تلينا
ورثنا مجد علقمة بن سيفٍ أباح لنا حصون المجد دينا[3]
ورثت مهلهلاً والخيرَ منه زهيراً، نعم ذخرُ الذاخرينا[4]
ومنا قبله السّاعي كليبٌ فأيُّ المجد إلا قد ولينا ؟

* * *

إليكم يا بني بكر إليكم ألمّا تعلموا منّا اليقينا ؟[5]
ألمّا تعلموا منّا ومنكم كتائب يطّعن ويرتمينا
علينا البيض واليلبُ اليماني وأسياف يقمن وينحنينا[6]
ورثناهنّ عن آباء صدق ونورثها، اذا متنا، بنينا .

* * *

---

١ – القيل : الملك الذي يطيع ملكاً اكبر منه ، القطين : الخادم .

٢ – مقتوين : جمع مقتوي من فعل قتا ، أي خدم الملك

٣ – دينا : قهراً

٤ – المهلهل: اخو كليب ووالد ام عمرو بن كلثوم ليلى ، وهو الشاعر الجاهلي المعروف . الذخر : المجد .

٥ – اليكم : ابتعدوا

٦ – اليلب : قطع من جلد توضع على الرأس تحت الخوذ .

على آثارنا بيض حسانٌ نحاذرُ أن تُقسَّمَ أو تهونا[١]
كأنا والسيوف مسللاتٌ ولدنا الناس طرّاً أجمعينا[٢]

وقد علمَ القبائلُ من مُعَدٍّ اذا قُبَبٌ بأبطحها بُنينا
بأنا المطعمونَ اذا قدرنا وأنا النازلون بحيث شينا[٣]
وأنا التاركون اذا سخطنا وأنا الآخذون اذا رضينا
وأنا العاصمون اذا أطعنا وأنا العارمون إذا عصينا[٤]
ونشربُ إن وَرَدنا الماء صفواً ويشرب غيرُنا كدَراً وطينا
اذا ما الملك سام الناس خسفاً أبَينا أن نقرَّ الخسفَ فينا
ملأنا البرَّ حتى ضاق عنّا وظهرُ البحر نملأه سفينا
لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا بلغ الفطامَ لنا صبيٌّ تخرّ له الجبابرُ ساجدينا .

---

١ ـ تقسم : يسبيها الاعداء ويتقاسمونها . تهون : تذل

٢ ـ يريد انهم اذ تستلّ السيوف يلدون الناس من جديد لانهم يحمونهم من الموت .

٣ ـ قدرنا : وضعنا قدورنا على النار

٤ ـ العاصمون : المانعون الحماة ، العارمون : المتشدّدون في العقاب

الحارث بن حلزة

القرن السادس الميلادي

نموذج من شعر العرب الملحمي

آذنتنا ببينها أسمـــاء ُربّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثواءُ(١)
بعد عهدٍ لهـا ببرقة شمـا ءَ فأدنى ديارها الخلصاء (٢)
وأتانا من الحوادث والأنباء خطب ُنعنى به ونساء(٣)
إن إخواننا الأراقمَ يَغلون علينا ، في قيلهم إحفاء(٤)
يَخلطون البريء منّا بذي الذنب ولا ينفع الخليّ الخلاء(٥)

---

١ ـ آذنتنا : اخبرتنا ، البين : الفراق . اسماء : محبوبة الشاعر . الثواء : الاقامة . والمعنى : ليست اسماء ممن تمَلّ إقامتهم .
٢ ـ برقة شما : مكان ، أدنى : اقرب ، الخلصاء : اسم مكان ايضاً ،
٣ ـ المراد : وصلنا من الاخبار ما يحزن ويسيء
٤ ـ الاراقم : جماعة من تغلب . يغلون علينا : يبالغون في الاتهام والبغضاء . الاحفاء : الالحاح والتجني .
٥ ـ الخلي : البريء

زعموا أنّ كلّ من ضرب العَيرَ مُوالٍ لنا ، وأنّا الولاء[1]
أجمعوا أمرهمْ بليلٍ، فلما أصبحوا ، أصبحت لهم ضوضاء[2]
من منادٍ، ومن مجيب ، ومن تصهالِ خيلٍ خلال ذاك رغاء.[3]
أيها الناطقُ المرقشُ عنّا عندَ عمرو وهل لذاك بقاء[4]
لا تخَلنا على غراتك أنا قبلُ ماقدوشى بنا الاعداء[5]
فبقينا على الشناءة تنمينا حصون وعزّةٌ قعساء[6]
انما خطة اردتم فأدوها إلينا ، تسعى بها الاملاء[7]
إن نبشتم ما بينَ ملحةَ فالصاقبِ ، فيه الاموات والاحياء[8]
أو نقشتم ، فالنقش يجشمه الناسُ ، وفيه الاسقام والابراء[9]

١ – يزعمون ان الجميع حلفاء لنا

٢ – اجمعوا امرهم،عقدوا النية علىقتالنا فيالمساء وعند الصباح عمت ضوضاؤهم

٣ – الرغاء : صوت الابـل . وفي ذلك وصف لحالة الاراقم وهم يتهيأون لمقاتلة البكريين

٤ – المرقش : الذي يموه الكلام ويزخرفه . يخاطب عمرو بن كلثوم فيقول له : ليس لكلامك بقاء أو تأثير .

٥ – لا تخلنا : لا تحسبنا . على غراتك : عند وشايتك . والمعنى : ان اغراءك الملك بنا لا يخضعنا ، فكم وشى بنا الاعداء قبلك فما نالهم غير الخذلان.

٦ – الشناءة: الكره والبغض.تنمينا : تعلينا ، قعساء : منيعة ثابتة. والمعنى اننا بقينا اعزة بوجه بغضائهم تدفع اذيتهم عنا حصوننا العالية وعزتنا المنيعة .

٧ – خطة : أمر اختلف فيه ، أدوها الينا : ارسلوها ، الاملاء : الوسطاء أو الاشراف الذين يفصلون في القضية .

٨ – نبشتم : بحثتم عن الماضي . ملحة والصاقب : جبلان.الاموات الاحياء : القتلىالذين لم يثأر بهم،ايقتلى تغلب،والقتلىالذين ثئر بهم اي قتلى بكر.

٩ – نقشتم : بحثتم وتحريتم . يجشمه : يتحمله بمشقة . الاسقام : اثبات الذنب فيكم . الابراء : اثبات البراءة فينا

او سكنتم عنّا ، فكنا كمن اغمض عيناً في جفنها الاقذاء[١]
أو منعتم ما تسألون فمن حدثتموهُ له علينا العلاء ؟[٢]
هل علمتم ايامَ يُنتهبُ الناسُ غِواراً ، لكلّ حيّ عُواء[٣]
إذ رفعنا الجمالَ من سَعف البحرين سيراً حتى نهاها الحِساء[٤]
ثم مِلنا على تميم فأحرمنا ، وفينا بناتُ قومٍ إماء[٥]
لا يُقيمُ العزيزُ بالبلد السهلِ ، ولا ينفعُ الذليلَ النجاء[٦]
ليس ينجي الذي يوائل منا رأسُ طودٍ أو حَرّة رجلاء[٧]
فملكنا بذلك الناسَ حتى ملكَ المنذرُ بنُ ماء السماءِ[٨]
وهوَ الربُّ والشهيد على يوم الحيارين ، والبلاء بلاء[٩]

---

١ ـ الاقذاء ج . قذى وهو يصيب العين فيؤذيها . والمعنى ان البكريين سيسكتون على مضض عن اساءات تغلب الكثيرة .

٢ ـ ان رفضتم ما نعرضه عليكم من صلح، فهل خبرتم ان من الناس اعلى منا؟

٣ ـ الغوار : الهجوم المباغت . عواء : صوت الذئب استعاره للجلبة . هل : بمعنى قد .

٤ ـ السعف : اغصان النخيل . رفعنا الجمال : سرنا بها مسرعين . البحرين والحساء : بلدان .

٥ ـ أحرم : دخل في الشهر الحرام فامتنع القتال

٦ ـ النجاء:الاسراع في الهرب،اي ان الشر كان عاماً فلم يسلم منه رفيع او وضيع

٧ ـ الطود : الجبل . الحرة : الارض القاحلة الصعبة المسالك ، رجلاء : شديدة الخطر .

٨ ـ المنذر : والد عمرو بن هند من ملوك الحيرة ، وفي البيت اقواء اي تغيير حركة الروي .

٩ ـ الرب : السيد . يوم الحيارين : يوم قاتل فيه البكريون الى جانب المنذر واستبسلوا في نصرته

مَلكٌ أضرعَ البرية ، لا يُوجدُ فيها ، لما لديه كفاء[١]
فاتركوا الطيخَ والتعدي ؛ وإما تتعاشوا ، ففي التعاشي الداء[٢]
واذكروا حِلف ذي المجاز وما قُدّمَ فيه العهودُ والكفلاء[٣]
حَذرَ الجور والتعدّي ، وهل ينقض ما في المهارق الاهواء[٤]
واعلموا أننا وإياكمُ فيما اشترطنا ، يومَ اختلفنا ، سواء[٥]
أعلينا جناح كِندة أن يَغنم غازيهمُ ومنا الجزاء[٦]
أم علينا جرّى قضاعة ، أم ليس علينا في ما جنوا انداء[٧]
عنناً باطلاً وظلماً كما تُعترُ عن حَجرة الربيض الظباء.[٨]

١ – اضرع البرية : اخضع الخلق . كفاء : معادلة ومساواة .
٢ – الطيخ : التكبر والشتم . التعاشي : التعامي .
٣ – ذو المجاز: موضع جمع فيه المنذر الثالث،أو عمرو بن هند، بكراً وتغلباً وأصلح بينهما .
٤ – الجور : الظلم . ينقض : يبطل ، المهارق (فارسية معربة): الاوراق. اي ان الرغبات الشخصية لا تبطل ما كتب في الورق من عهود .
٥ – اي : كنا واياكم متساويين امام تلك العهود .
٦ – الجناح : الاثم . وفي البيت تعريض ببني تغلب الذين يريدون ان يحملوا بني بكر اوزار ما فعلت بهم غزوة كندة .
٧ – جرى : ذنب ، جناية . انداء : ج . ندي : وهو ما يلحق الانسان من ذنب
٨ – العنن : الاعتراض . تعتر : تذبح . الحجرة : الحظيرة . الربيض : الغنم . الظباء : الغزلان . كان الواحد من الجاهلية ينذر ان يذبح شاة للاصنام اذا بلغ عدد غنمه المئة ، ثم يبخل بها فيذبح مكانها ظبياً . والمعنى انكم تحملوننا آثام غيرنا كما يذبح الظبي مكان الشاة .

أيها الناطق المبلغ عنّا عند عمرو وهل لذاك انتهاء
إن عمراً لنا لديه خلال غير شك في كلهن البلاء[1]
ملك مُقسطٌ وأفضلُ من يمشي ، ومن دون ما لديه الثناء[2]
من لنا عنده من الخير آيات ثلاث ، في كلهن القضاء[3]

١ ـ البلاء : النعمة
٢ ـ مقسط : عادل . والمديح يقصر عن تعداد فضائله
٣ ـ آيات : علامات . وكلها تقضي لنا بولائه .

عنتر بن شداد

٥٢٥ ؟ ـــ ٦١٥ م ؟

نموذج من شعر العرب الملحمي

هل غادر الشعراء من متردمِ   أم هل عرفت الدار بعدتوهم[١]
يا دار عبلةَ بالجواء تكلمي   وعمي صباحاً ، دار عبلة ، واسلمي[٢]
حييت من طللٍ تقادم عهدهُ   أقوى وأقفرَ بعد أم الهيثم[٣]

* * *

ان تغدفي دوني القناع فإنني   طبٌّ بأخذ الفارس المستلئم[٤]
أثني عليّ بما علمت فإنني   سمح مخالقتي إذا لم أظلم[٥]

---

١ ـ المتردم : الموضع المتهدم . وفي صدر البيت استفهام انكاري .
٢ ـ الجواء : اسم موضع
٣ ـ أم الهيثم : كنية عبلة . اقوى واقفر : خلا . الطلل : الأثر الباقي .
٤ ـ اغدف الستر : ارخـــاه . طب : حاذق قادر ، مستلئم : لابس اللأمة اي الدرع .
٥ ـ المخالقة : المعاملة

واذا ظُلمتُ فان ظُلمي باسلٌ ... مُرٌّ مذاقته كطعم العلقم[١]
هلّا سألتِ الخيلَ يا ابنة مالكٍ ... إن كنتِ جاهلة بما لم تعلمي[٢]
يخبرك من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنم
ومدجج كره الكماة نِزاله ... لا مُمعن هرباً ولا مُستسلم[٣]
جادت يداي له بعاجل طعنةٍ ... بمثقف صدق الكعوب مقوَّم[٤]
فشككت بالرمح الأصمّ ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرّم
فتركته جزرَ السباع يَنشنهُ ... يَقضمن حسن بنانه والمعصم[٥]

* * *

ولقد حفظتُ وَصاة عمي بالضحى
إذ تقلصُ الشفتان عن وضح الفم[٦]
في حومةِ الموتِ التي لا تشتكي ... غمراتها الابطال غير تغمغم[٧]
إذ يتقون بي الأسنه لم أخِمْ ... عنها، ولكني تضايق مقدمي[٨]

---

١ – العلقم : نبات صحراوي مر الطعم .
٢ – هلا : اداة للتحضيض. ابنة مالك : عبلة. بما لم تعلمي : عما لم تعلمي وحرف الجر متعلق بسألت .
٣ – المدجج : الذي استتر بالسلاح
٤ – المثقف من الرماح : المستقيم . صدق الكعوب : قوي العقد .
٥ – جزر السباع: كالشاة او الناقة التي تذبح وتكون طعمة للسباع. ينشنه: يتناولنه ،يقضمن : يأكلن بمقدم الاسنان .
٦ – تقلص: تنقبض.وضح الفم: بياض الاسنان. اي حين يشتد القتال فتكشر الفرسان غضباً وخوفاً .
٧ – التغمغم : الصوت غير المفهوم .
٨ – لم اخم : لم اجبن او اعجز . تضايق مقدمي : موضع اقدامي لاحتشاد المقاتلين حولي فتعذر علي التقدم .

لما رأيت القومَ أقبل جمعهم يتذامرون كررتُ غيرَ مذمم[1]
يدعون عنترَ والرماح كأنها أشطان بئرٍ في لبان الادهمِ[2]
ما زلت أرميهم بثغرة نحرهِ ولبانه، حتى تسربل بالدمِ[3]
فازورّ من وقع القنا بلبانه وشكا إليّ بعبرة وتحمحم[4]
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى
ولكان لو علم الكلام مُكلّمي
ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقمها
قِيلُ الفوارس: ويك عنتر أقدم[5]

---

١ – يتذامرون : يحض بعضهم بعضهم الآخر على القتال. والمراد بالقوم: قومه.

٢ – الاشطان : الحبال الواحدة : شطن . اللبان : الصدر . الادهم : الاسود صفة للفرس .

٣ – الثغرة : النقرة في اعلى النحر . تسربل : اتشح .

٤ – ازور : مال من الالم . العبرة : الدمعة ، التحمحم : صهيل فيه حنين

٥ – ابرا : شفى . السقم : المرض .

كتب جديدة

لجورج غريب

استاذ الادب العربي في المعهد الانطوني

تصدرها تباعاً دار الثقافة في بيروت

●

ا – من سلسلة الموسوع في الادب العربي :

١ – ابن المقفع (صدر)

٢ – سليمان البستاني في مقدمة الالياذة . (صدر)

٣ – ابو فراس الحمداني - دراسة عامة - . (صدر)

٤ – الغزل - تاريخه واعلامه - (عمر بن ابي ربيعة ، جميل بن معمر) . (صدر)

٥ – شعر اللهو والخمر - تاريخه واعلامه - (الاعشى ، الأخطل ، ابو نواس) (قيد الطبع)

٦ – الشعر الملحمي - تاريخه واعلامه - (عمرو بن كلثوم ، الحرث بن حلزة ، عنترة) (صدر)

٧ – ادب الرحلات ـ الاعلام : (المسعودي ، ابن بطوطة ، امين الريحاني)

٨ – الجاحظ ـ دراسة عامة ـ

٩ – المتنبي ـ دراسة عامة ـ

١٠ – النابغة الذبياني ـ دراسة عامة ـ

ب – كتب متفرقة :

١١ – الياس ابو شبكه ـ دراسة عامة ـ .

١٢ – في هيكل اللبنانية .

١٣ – شلالات الملائكة (شعر)

١٤ – القمم البيضاء (شعر)

١٥ – اناشيد الاستقلال (شعر)

هاتف الناشر : ٢٣٠٥٦١

هاتف المؤلف : ٢٢١٠٤٩

فهرست

	الصفحة
الشعر الملحمي	٥
عمرو بن كلثوم	١٥
النفس الملحمي	٢١
الالياذة وابيات عمرو	٣٠
الحارث بن حلزة	٣٣
النفس الملحمي	٣٧
الالياذة وابيات الحارث	٤٥
عنترة بن شداد	٤٧
الشاعر الملحمي	٥٣
المعلقة والنفس الملحمي	٦٢
قصة عنترة	٧١
الالياذة وابيات عنترة	٧٤
مختارات	٩٥

مصادر

ديوان ابن كلثوم – ديوان ابن حلزة –
ديوان عنترة – ادباء العرب – في الادب
الجاهلي – الاليـاذة – شرح المعلقات –
طبقات فحول الشعراء – الجديد.